مجموع شعر

وهو مشتمل على السائر المشهور مما جادت به يراع

شاعر أهل البيت عليهم السلام

محمد الحرزي

المحتويات

إذا أعياك من دنياك داءُ ..... (٥)

ما انفكّ جفني على ذكراك ينتحبُ ..... (١٣)

مالي وقفتُ على القبور مسلّماً ..... (١٧)

عُجمُ ألفاظٍ وعُربٌ جُمعوا ..... (١٩)

كعادتها بين الإبا والتعنّتِ ..... (٢٠)

إمام العصر لا أدري برضوى ..... (٢٩)

تركنا العيش للأنذالِ زُهدا ..... (٣٠)

عواطفُ القلب أم خوّانةُ الجَلَدِ ..... (٣٣)

ولدته في حرم الإله وأمنه (تشطير) ..... (٣٧)

تُقاد لها فوق الجباه العساكرُ ..... (٣٨)

أبيتَ على الذُلّ إلّا انتصارا ..... (٤٣)

المرءُ بالسيفِ يوم الذلّ ينتصرُ ..... (٤٤)

أجريت قلبي وأجرى غيري العمشا ..... (٤٨)

قاتلتُ نفسي في هواك فلم أدع ..... (٥٢)

الذكرُ فيك بليغ المدح قد صدعا ..... (٥٥)

صباحُ النصر في الآفاق رفّا ..... (٥٦)

دعوت حمى الأحباب يا موطن الإلفِ ..... (٥٨)

أودى بك الصبر إلّا الوجدَ والأرقا ..... (٦٠)

فدتك بنفسها كرماً وعشقا..... (٦٨)
وي كالهجاء رأت أسماءك الغزلا..... (٧٠)
ما كان عهدي بالّذين تحمّلوا..... (٧٧)
إذا لم يُمتني الشوق أزرى بي العذلُ..... (٨٣)
بُكاء العين من كرم الخصالِ..... (٨٤)
لمن الرؤوس على الرماح جمالها..... (٨٧)
قد هدّ ركن الضحى فالليل مقتحم ..... (٩٣)
للحزن من ذهبٍ ثغرٌ قد ابتسما..... (٩٧)
لتعلم الناس بعد اليوم موقنةً..... (١٠٠)
ألا مُبلغاً عنّي الشريدَ مُعزّياً..... (١٠١)
مواطن لم تدع للقلب إيطانا..... (١٠٢)
ألا يا مُذلَّ البيد والمقلق الجنّا..... (١٠٩)
الشمس سلطان الطبيعة..... (١١٥)
ما جئتُ ممتدحاً من لستُ أرثيه..... (١١٧)
بكت الديار على افتقاد بنيها (تخميس) ..... (١١٨)

إذا أعياك من دنياك داءُ[1]

(الوافر)

إذا أَعياكَ مِنْ دُنياكَ داءُ ... وعزّ عليكَ أَنْ فُقِدَ الدواءُ

وأعسرت الأمورُ عليك صَرْفاً ... وضاقَ الدهرُ وانكشفَ الغِطاءُ

تَحرّ لدى بِقاع الشّامِ قَبراً ... به للهِ يَرْتَفِعُ الدُّعاءُ

لِزَيْنَبَ وَلِّ طَرْفَكَ مُستَغيثاً ... فأدنى ما يُبادِرُكَ السَّخاءُ

وأذْلِلْ ماءَ وَجهِكَ في حِباها ... فَخَيْرُ الذُّلِّ ما عَزَّ الحِباءُ

تَوَسَّلْ بالعَقيلَةِ وارتَجيها ... ففي أكنافِها يَحْلو الرَّجاءُ

ولُذْ بِجِوارِ خِدرِ بَنِي نِزارٍ ... بِمَن شَرَفاً تَلوذُ بها السَّماءُ

حِمى عَلْيا عليٍّ مَنْ إلَيهِم ... بِأَمرِ اللهِ يَنصَرِفُ القَضاءُ

ودارُ نَدى إذا ما العامُ أكْدَى ... تَفَجَّرَ مِنْ جَوانِبِها الرَّخاءُ

تَبيتُ بها جُموعُ الوَفدِ رَغْداً ... فلا نَصَبٌ هُناكَ ولا عَياءُ

وإنْ شاهَدْتَ فيها المَيتَ حياً ... وعاد على السَّقيمِ بِها الشِّفاءُ

فلا تَعجَبْ فإنَّكَ مِنْ تُرابٍ ... ومِن ماءٍ لنا ولَكَ ابتِداءُ

وإنَّ الماءَ يُحيي كلَّ شَيءٍ ... فكيف بِمَن هُمُ للماءِ ماءُ

تَتِيهُ على جِنانِ الخُلْدِ قَدراً ... وللوفادِ فيها ما تَشاءُ

---

(١) نُظم صدر هذه القصيدة وقد كان الشاعر ليلة العشرين من صفر ـ ذكرى أربعينيّة سيّد الشهداء عليه السلام ـ في حرم السيّدة زينب عليها السلام ينظر شاباً مصاباً بالفالج بجوار الضريح المشرّف قد برء من علّته بعد منتصف الليل.

وإنْ تَكُنِ التَّمائِمُ في رِقابِ الـ ... ورى حِرْزاً يُرَدُّ بِهِ البَلاءُ

فإنَّ تُرابَ أرجُلِ زائِريها ... يُجيرُ الخَلقَ إنْ ضاقَ الفَضاءُ

ولو أنَّ الأنامَ بها أقامَت ... لما طَلَعَتْ على مَيتٍ ذُكاءُ

دِيارٌ مَنْ أطالَ المَدحَ فيها ... جنى بالعِيِّ ما زَرَعَ العَناءُ

ولَولا الحُكمُ قُلْتُ لِقاصِديها ... لَكُم فيها عَنِ الحَجِّ اكتِفاءُ

بِها أبصِرْ ولا تُبصِرْ إلَيها ... ودُونَ الشَّمسِ يَكفيكَ الضِّياءُ

هُناك لِزينبٍ جَدَثٌ تسامى ... غداةَ طَغى على الكَدَرِ الصَّفاءُ

ومَجدٌ أيْقَنَ العُلَماءُ عَنهُ ... بأنَّ العِلمَ غايَتُهُ الغَباءُ

وصَرْحٌ أنْبَأَ الدُنيا قَديماً ... بأنَّ الوَحيَ تُؤتاهُ النِّساءُ

فَجُدْ إن جِئتها بالشَّوقِ وِرداً ... ودَعْ لِلعَينِ ما جَهِلَ الثّناءُ

وكيفَ لَكَ الثَّناءُ بِمَنْ ثَناها ... تَجلّى حينَ أنْشَأَهُ الرِّثاءُ

وإنَّ السَّيفَ أقتَلُ حالَتَيهِ ... إذا نَطَقَتْ بِلَهجَتِهِ الدِّماءُ

بَدَتْ في كَرْبلا ولَرُبَّ بادٍ ... تَبَدى حينَ جَلَّلَهُ الخَفاءُ

وأَضحَتْ لا كما اشتَهَتِ الأعادي ... ولكن حَسبَما شاءَ الفِداءُ

بها عُرِفَ التَّجلُّدُ في الرَّزايا ... ولولاها لما خُلِقَ البُكاءُ

هَوَيْتُ لِذِكرِها فَمَضَيْتُ ذُلّاً ... وقد أعيا سِوايَ الكِبرِياءُ

ودِينُ المَرءِ نِسبَتُهُ فإن لم ... تكُن حالاً فَشِرعَتُهُ انتِقاءُ

وإنَّ لدى الغرامِ خَفيرَ صِدقٍ ... تَهَيَّبَ أنْ يُمالِقَهُ الرِّياءُ

وخَيرُ هوى الفتى ما كان عَقلاً ... له عن رِبقةِ العقلِ اعتِلاءُ

ومن تَكُ لِلحِجا عَيْناهُ رِقّاً ... أراهُ الذُّلُ ما يهوى الإباءُ

لِذا فَاقطَع عَلَيها الدَّهرَ لَطماً ... وللزَّهراءِ فليكن العَزاءُ

وهاتِ الحُزنَ تَشرِيعاً وعَهداً ... فبالأحزانِ قد عُرِفَ الوَفاءُ

ودَعْ مَن لامَني لِقَذيعِ دَمعي ... إذا أنشا ليَ الدَّمعَ الهِجاءُ

فليس الجهلُ أنْ تَحيا حَزيناً ... ولكن لو أضَرَّ بك الذَّكاءُ

وأيّ العَيشِ تَرضى بعد قومٍ ... بقاءُ المَرءِ بعدَهُمُ فَناءُ

رِجالٌ مِن بني الكَرارِ حَيٌّ ... كَمِيُّهم ومَيِّتُهم سواءُ

كِلاهُم دونَ إمرَتِهِ المَنايا ... ردىً أو وفقَ رَغبَتِهِ البَداءُ

تَضيقُ بِهم جُسومُهمُ إباءً ... ويُرْكِبُهُم ذُرى الموتِ الحياءُ

قَضَوْا في الطَّفِّ وا شَوْقاً إلَيهِم ... كما شاءَ العُلى مِنهُم وشاؤوا

فَتِلكَ جُسومُهُم تُنبيكَ أنَّ الـ ... مفاخِرَ لا يَليقُ بها الرِّداءُ

وتِلكَ رُؤوسُهم ترعيكَ أنَّ الـ ... عُقولَ لها على السُّمرِ اتِكاءُ

وتِلك نِساؤُهُم مِن عُظمِ ما قد ... دهاها لا يُواريها العِشاءُ

تُبيحُ الخَيلُ مِنها كُلَّ خِدرٍ ... تَحَذَّرَ أنْ يَمُرَّ بِهِ الهَواءُ

وتَدفَعُ بالتَّوَسُّلِ سالِبيها ... كأن بالوَصلِ يُكتَسَبُ الجَفاءُ

وتَستَجدي الحِماءَ وقَبلُ أمناً ... بِفَيْءِ جُدودِها يَفِدُ الحِماءُ

كأني والمَقالُ سُلِبنَ جَهراً ... بريئاً قضَّ مَضجَعَهُ ادِّعاءُ

يُكَذِّبُ صِدقَ ما بالنفسِ عَنها ... مَخافَةَ أن يَلِدَّ به الشَّقاءُ

ولولا ثُكلُ آيِ اللهِ فيها ... لقُلتُ بأنَّ ما رُوِيَ افتِراءُ

وأخيَبُ ساتِرٍ لِلوجدِ عَينٌ لها عَن غيرِ مَبكاها ارعِواءُ
فَمَن عَني يُغَلغِلُها عِتاباً يَجودُ بِه على الحُزنِ استياءُ
أخو ثِقَةٍ إذا ما رامَ أمراً تَقَطَّرَ عن جَوانِبِهِ الثّواءُ
يَعُتُّ المَهمَهَ الوَحشِيَّ فَرداً كأنْ يُدنيه للسِلمِ اعتِداءُ
بِيَعمُلةٍ يُشَدُّ بِغارِبَيها رِباطُ الجأشِ إنْ عزَّ الرواءُ
تَنوءُ بها الفَلاةُ إذا عَلَتْها رُباها تَتَّقيها والجِواءُ
كأنَّ جِرانَها في الجِدِّ حَقٌ وأربَعَها إذا وَثَبَتْ مِراءُ
يَحُطُّ على الغَرِيِ بها مُكِداً مَحَطَّ الخِطِّ إن نَتَجَ الوِجاءُ
بِمَن تُجبى المُلوكُ لهُ عَبيداً ومَن تَفدي بنيهِ الأنبِياءُ
ومَن كُلُّ الرِّجالِ إذا أُهيجَت رُجولَتُهُ سَواءٌ والإماءُ
أميرُ المؤمنينَ غداةَ خُمٍّ به عِزّاً تجلّى الاصطفاءُ
بيومٍ فيه قد ثَبُتَ التولّي كما بعُتُلِّه طاش الرثاءُ
ووالتْهُ قلوبُ الناسِ طوعاً بما أملى عليها الانزواءُ
ولمْ أرَ قبلَ من عاداه مضنىً تساوى الداءُ فيه والدواءُ
وأيّ فتيّ حمقٍ نالَ نصراً على جملٍ تُحاربُه ذُكاءُ
ظَهِيرُ مُحَمَّدٍ وشَبا يَدَيهِ ومَن لَهُ عنهُ في الوَحيِ الأداءُ
أبو الحَسَنَيْنِ نابُ فَمِ المَنايا إذا الأعداءُ ورَّطها اللِقاءُ
سَنَحْنَحُ لَيْلِها ولظى وَغاها ومَنْ لهُ هامُ عَلياها وِطاءُ
مِنَ المُختارِ والمختارُ مِنهُ هما لُبٌّ ومَن شِئتَ اللِّحاء

تَعيهِ المُصطفى روحاً وجِسماً إذا لم يُصمِ والِدَك ادِّعاءُ
عليٌّ الوَحي والآياتُ طُرّاً وإنَّهُمُ عليٌّ حيثُ جاءوا
ولولا المرتَضى لم يَأتِ وَحيٌ ومَن لِلغَيثِ إنْ عُدِمَ الوِعاءُ
جَميعُ الخَلقِ مِن رَملٍ بِداها وغيرُ الرَّمل ليس لها انتهاءُ
وحيدَرُ قَطُّ يُنمى حينَ يُنمى لنورٍ للإلهِ لهُ انتِماءُ
أعِرهُ إن أَتَيْتَ النَّفسَ واخضَع بقَلبٍ قد أعارَكهُ البَهاءُ
وأطرِق لا عُدِمتَ الخَيرَ واخشَع بأرضٍ مِن حَواسِدِها حِراءُ
وقُلْ لأبي الحُسَينِ فِداكَ أُمي على أبناكَ قد حُرِقَ الخِباءُ
بَرَزنَ نِساك يا للهِ حسرى ولولا الذُّعرُ ألجأها القِواءُ
وأرهَقَها نِداكَ ولم تُجِبها غداة دَعَت وقد جُذِبَ الرِّداءُ
وأثقلُ من صلافةِ زاجِريها بأنْ وافاكَ مِن فَمِها النِّداءُ
وليسَ بِمُفجِعٍ وَقعُ الرَّزايا ولكن من سَواعِدِكَ القَلاءُ
عليٌّ وكم يَجيشُ بِكَ التَّأني وكَم يَصفو لأعداكَ العِداءُ
وكم تُغضي على الأقذاءِ طَرفاً لِبأسِك والأسى فيه اِلْتِقاءُ
فما وأبيكَ لا أُثلِجتَ صَدراً إذا لم يحوِ عِطفَيكَ القِباءُ
ولا رَفَأت لِحاظُكَ عن بُكاها إذا لم يُرقِ صارِمَكَ الرُّغاءُ
ولا أنت الفتى المضَرِيُّ إنْ لَم يُجَدْ إلا الرَّدى مِنكَ الوِقاءُ
أَيُنثَرُ مِن نِسائِكَ كُلُّ قُرطٍ به لولا التُّقى عُبِدَ السَّناءُ
ويُفشيها السِّباءُ وقَبلُ خِدراً كمِثلِ الصَّيفِ يلقاها الشِّتاءُ

تكادُ نفوسُها لولا المَنايا لِفرطِ الضَّيمِ يُرديها الحَياءُ
تَخالُ مُتونَهُنَّ لما عَلاها دِياراً قد أقامَ بها العَفاءُ
وقد طافت حَوالَيها عِداها عَتيقُ البَيتِ طافَ بهِ المُكاءُ
كأنَّ قُلوبَهُنَّ بما أُصيبَت وفاءٌ فيه قد وَلَغَ الدَّهاءُ
وأنَّ جِباهَهُنَّ غداة هانت ضُحىً أزرى بِرَونَقِهِ المَساءُ
رعى موسى مَذودَ نِسا شُعَيبٍ وقد سُقِيا وما صَدَرَ الرِّعاءُ
وأمَّ الظِلَّ داعٍ حَيثُ جاءَت على استِحيائها يَمشي الكَراءُ
ولم تكُ حينَ بانَت ذاتَ ثُكلٍ وما هو والوَغى مِنهُ إزاءُ
فأينَ هُما ومَنْ أبكَت عَليها عِداها حِينَ أرْغَمَها الحِداءُ
ولم تَكُنِ السِّقا تَرجو ولكن مَحاسِنَ مَن بهِ أودى السِّقاءُ
أضَرَّ بِها الأُوامُ فما لِمُؤوٍ عَدَت إلا وأقعَدَها الطِّواءُ
وما جُزِيَت بِحُسناها ولكن بِقَتلِ حُماتِها كانَ الجَزاءُ
وقد كان الرَّدى يُخشى قديماً وبعد بنيكَ قد خُشِيَ البَقاءُ
بُدورٌ دعَّ أعضاها العَوادي وأزَّ البِيضَ من دَمِها اعتِراءُ
ثَوَتْ مِن جانِبِ الهَيجا كِراماً كما يهوى التَّجرُّؤُ والسَّخاءُ
تَلوذُ بها لدى الرَّوعِ المَواضي بِحَيدِ الطَّودِ للنسرِ اِلْتِجاء
كأنَّ النَّبلَ مِنها كُلُّ عُضوٍ طلاهُ من دَمِ النُّبْلِ الجلاءُ
وما هي إذْ هَوَت إلا جِبالٌ لِذا لم يَحْوِها إلا العَراءُ
أبادَهُمُ عليٌّ لك الوَفاءُ ولا ذَنْبٌ بِهِ حاشاكَ باءُوا

فَأيُّ الموقِفَينِ عَلَيْكَ أدهى ... ردى أهليكَ أم مِنها الوَلاءُ
وأيُّ الحالَتَينِ لك استَطابَت ... تُقى أبناكَ أم فيها البَلاءُ
وظِلٍّ لم يَقَعْ لِلأرْضِ يَوماً ... لِزَيْنَبَ كيف عَفَّرَهُ السِّباءُ
غداة بَدَت فلم تَدري الأعادي ... ألاحَ النَّصرُ أم بالذُّلِّ ناؤوا
تُلامِسُها لِحاظُ القَوْمِ خُبثاً ... ويَستُرُها عنِ اللَّحظِ الهَباءُ
ويُسمِعُها الخَنا كلُّ ابنِ نَغْلٍ ... لها عن فِيهِ بالنَّوحِ اتقاءُ
على الرَّمْضى عَدتْ فَرَقاً كأنَّ الـ ... ـثرى جَمْرٌ عَليهِ عدا الكِباءُ
تلاقَتْ والحُسَيْنُ ولَستَ تَدري ... بأيِّهما لَقد نَزَلَ القَضاءُ
ونادَتهُ أُخَيَّ فَرَدَّ طَرفاً ... على إنسانِهِ جَمُدَ الإخاءُ
تَخالُهُما وقد وَقَفَت عَلَيْهِ ... يَميناً قد علا فيها اللِّواءُ
يَجودُ بِمُهجَةٍ لولا رماها ... لزانَ العَرشَ في الأرضِ البِناءُ
ولو أيوبَ أبْصَرَ ما أحَسَّت ... لأضحَكَهُ على الصَّبرِ الوباءُ
مَناكِبُ عن رَقيبَيْها تَعالَت ... ولولا السِّترُ لم يَرَها الكِساءُ
تَخالُ بها الصِّفادَ وقد فَرَاها ... لَئِيماً حَضَّ خِسَّتَهُ العَطاءُ
فإن سارَت أماماً حَزَّ مِنها ... قَرينةَ ما إذا وَقَفَ الوَراءُ
وليس القَيدُ مَن أدمى يَدَيها ... ولكن بَعدَ عِزَّتِها انحِناءُ
تَجوبُ بها البِلادَ عَبيدُ هِندٍ ... وغَيرَ الهَضمِ ليس لها فناءُ
وتُعتَلُ كالإما بأبي وأمي ... نكالاً يُدمي أرجُلَها الحَفاءُ
وتُهدى وهي أزكى الخَلقِ نَجراً ... لأهجَنِ مَن تَعاطاهُ البِغاءُ

لِمَن تَعزوهُ كُفراً كُلُّ أمٍّ لِغَيرِ الفُحشِ ليس لها اعتِزاءُ
ولَيسَ هِجاكَهُ إلا مَديحاً فَزِينَةُ أجرَبِ الإبِلِ الطِّلاءُ
لئنْ رَكِبَ الإمارَةَ وهو غَيٌّ فلَيسَ يُعابُ بالسُمِّ الإناءُ
وإنْ والَتهُ جلُّ الناسِ يَوماً فأكثَرُ مَطعَمِ الناسِ الغُثاءُ
وإنْ بَلَغَ المُنى فيما اجتَناهُ فأبلغُ ما لدى الكلبِ العواءُ
وإنْ رُغِمَ الأنامُ به أميراً فَفَوْقَ السَّيلِ للزَبَدِ ارتِقاءُ
تُميتُ المرءَ هِمَّتُهُ ويُحيي رُفاتَ الخَلقِ مِن دَمِهِ الجَداءُ
ويَعلو مِثْلُ زَيْنَبَ في البَرايا ولو ساد الكرامَ الأدعياء

ما انفكّ جفني على ذكراك ينتحبُ[1]

(البسيط)

ما انفكّ جَفني على ذكراكَ ينتحبُ ... وخِلقةً صارَ دمعي فيك ينسكبُ
وآلفَ الحزنُ قلبي حين خالطَني ... فصرتُ حيث الذي يبيكك أنتدبُ
ما جاورَ السعدُ يوماً طالعي أبداً ... مُذ كنتَ في غالبِ الأبراجِ تحتجبُ
يا أيها النجم في سترِ الصباح ولي ... عينٌ له في ظلام الليل ترتقبُ
متى التلاقي ويومٌ العيد مقترب ... وإنَّ عهدَ الهوى في العيد يقتربُ
يا يومَ خمٍّ وإنّي لستُ مكتئباً ... إلا عليك، وأنى لست أكتئبُ
فإنني لن أرى يوماً كحقّكَ لا ... جهراً غداةَ ارتقى في الجهر يغتصبُ
عيدُ الولا ضحكت أحزانُه فبكت ... أفراحه، فانثنت في عينه السحبُ
وكلّما جئتُ في مدحي لغرّته ... ألفيتُ مدحي رثاءً فيه ينقلبُ
فيا وحيد السُّرى في الفدفدين له ... وجناءُ ما باخ من إدلاجها الحصبُ
تهوي فيهوي دِلاص الليل عن شحطٍ ... وعن مناسلها الرمضاءُ تجتنبُ
قف حيث حيدرة حدّ الغريَ وقُل ... يا غايةَ الخلقِ بل يا أيها السببُ
قد جئت ممتدحاً نفسي بمدحكَ يا ... من يرتقي في ثناهُ الشعرُ والأدبُ
يا من فضائله ضمنَ العقول لها ... شرعٌ أطلّ على التشريع ينكتبُ
ويا مناقبُك الغراء واصفُها ... قد آب منتكساً والعجزَ يحتطبُ

---

(١) قصيدة قديمة جدّاً نظمها الشاعر وهو بعد في أول القول.

جلت أبا حسن فيك الصفات علاً ... وشمت أقصى الهدى من دونك الرتبُ
وسقت صرفَ زمانٍ عنك مؤتمراً ... حتى بدا منه في أحكامك العَجَبُ
وذلّ في قبضتيك الدهرُ حين رأى ... قلب القضاء على جنبيك يضطربُ
الفاتحُ الصافحُ البتّار صارمُه ... الحالمُ العالم المعطاءُ والغضِبُ
ومن له دانت الأملاك لا عجبٌ ... بأن تدين له الأعناق والِّلببُ
يا من حسامك حسمٌ في النزال وفي ... تشابه الأمر فصلٌ رأيُك العضبُ
حييت من فارس ما فُلَّ ضاربه ... إلّا على ضيغم أو جحفل يجبُ
كأنّه والوغى ضدَان ما اتفقا ... إلا على أنَه الإقدام والغدَبُ
يُفري كتائبها، يذري عساكرها، ... يدني أباعدها، والموت يقتربُ
أفديك مفترقَ الأوصافِ مجتمع الـ ... أضدادِ إذ أنت ذاك الدرّ والذهبُ
عهدتُهُ والندى من طبعِ راحته ... وحيث نُقريه عفو الله ينسكبُ
والغيث يأتي على الأوطان وابِلُه ... فيستقي من حياه القاع والهضبُ
يرقُّ مدمعُهُ حيث اليتيمُ بكى ... فلا تعي أيُّهم لليُتم ينتحبُ
ما راعه في جوار الله ذو شَنئٍ ... مذ راعَه من جزاء الله ما يَهَبُ
لله أنت أبا السبطين معجزةٌ ... أحار فيها وأنت الواضح اللجِبُ
ماذا أقولُ ولو لا أنتَ ما خلقت ... سبعٌ طباقٌ بها أجنادُك الشهبُ
بل أنتَ فصلٌ خطابِ الله يوم غدٍ ... غداةَ تجثو لك الهاماتُ والرُّكبُ
آمنت فيك وعن طه أُمرتُ بذا ... إيمان من فيك نحو الحق قد ركبوا
وخفتُ في كُنهكَ الأديان ممتثلاً ... أوامرَ العقل لا عطفٌ ولا رهَبُ

فكنتَ فطرةَ خلّاقٍ ليودِعَها نفائساً من نفوس الخلق تُنتجبُ
وكنتَ شرعاً لدين الله مكتملاً يُحذى فلا تلتبس في أصلِهِ الريبُ
هذا وأنت أبا السبطينِ محتجب وظاهرٌ محكمٌ في طيّك العَجَبُ
فقُلْ لمنْ لامني في حبِّ حيدرةٍ لُم فيه خالقَه إن كنتَ تَحتسِبُ
ما قيمةُ الدينِ لولا حُبُّ حيدرةٍ والدينُ في غيرِهِ للكُفرِ ينَقلبُ
ولا تُرى الشمسُ إلا في منازِلِها كما وينبئك عنها ظِلُّك الوقِبُ
فاحذر أخا الكُفر في ما جئتَ مبتدراً ناراً بوادرُها الغِسْلين واللهبُ
هذي الحقيقةُ ما راقتْ لمستمعٍ إلا لمن طابَ من آبائِهِ النسَبُ
هذي ولايةُ طه قبلَ حيدرةٍ قل لا أباً لك أينَ الضيرُ والعطبُ
موؤدةً قل ففي أحشائنا وُئدتْ ما انفكَ مأتمُها ما بيننا قشِبُ
قل إنها صُلِبت لا بل هي ارتفعت بل عينك اشتبهتْ بل ظنك الترِبُ
شمسٌ ولكن بأجساد الولاء ثَوَت فحق أن يرتمي من جُرحها اللهبُ
أبلغْ ذُرى الجبتِ والطاغوتِ مُعرَبة عنّي تجارت على أمثالها العربُ
وقل لهم يا عبيدَ الّلاتِ إنّ لنا يوماً تناءت به ما بيننا الرُّتبُ
يومٌ بعَزمةِ من تعنو الوجوه له غصّت بحادِثِه الأخبارُ والكتبُ
يومُ الغديرِ كفاكم أن يكون به للمرتضى الحقّ والأقوال تُقتضبُ
بل أنَه حاكم التكوين مكّنه في الكائنات إلهٌ قرّ ما يجبُ
فدعْ جهالةَ زيدٍ أن يموت بها ودع ضغائنَ عمرو إنها لغَبُ
فلستُ أتّبعُ قوماً رفَّ بيرقُهُم في العُهر حتى غدت من دونه السحبُ

ولستُ جاعلَ ربّي في الوغى جَمَلاً ... ولا كتابي على الأرماح ينتصبُ
ولست أسلكُ نهجاً غير ذي رَشَدٍ ... حكّامه السيفُ والأموالُ والشغبُ
بل أتّبع من له البيتُ الحرامُ غدا ... مَهداً تُكلّله الأستارُ والحجبُ
بأيِّ لوم عقيمٍ جئتَ مشتملاً ... في شأنِ حيدرةٍ ورأسُكَ الذنبُ
خفف عليك أخا الإسلام ثم ودع ... جُهد الملام فأقصى صدقِكَ الكذبُ
أي وارتقبْ غير ذي بُعدٍ عواقبه ... فإننا نرتقب ما أنت مُرتقبُ
غداً إذا جاء طه والوصيُّ علا ... ورايةُ الحمد في يُمناه تنتصبُ
تُرى على الحوض من تصفو مشاربُهُ؟ ... ومن تُرى يعتري أحشاءه السغبُ؟
ومن يساق الى قعر الجحيمِ؟ ومن ... يرقى فخُدّامه الولدان والكُعُبُ؟
ابا الحسين وقد فاتَ الحُسام يدي ... ولم يفت أصغريّ الرشدُ والأربُ
وإنّني باذلٌ عمري بمدحك لا ... يعوقني في هواك اللوم والعتبُ
أنعِمْ أبا حسنٍ غِبّ القصيد إذا ... ما جدّ أقصاه بدءاً فيك يحتقبُ
فأنتَ للهِ فرضي ثم نافلتي ... وأنتَ من فيهِ يومَ الحشرِ أحتسبُ
محمدٌ خُذْ من الأحشاءِ تحفتَها ... هديةً في علي دونها النُجبُ
واقبلْ أبا فاطمٍ أجرَ الرسالة لا ... تخيِّبْ القصد فيما جاء يكتسبُ
صلى الإله على أوطانِ رحمته ... ما دام فرداً عن الأغصان يحتجبُ

مالي وقفتُ على القبور مسلّماً

(الكامل)

(مالي وَقَفتُ على القُبورِ مسلِّماً ... قبرَ الحَبيبِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوابي
أحَبيبُ ما لَكَ لا تَرُدُّ جَوابَنا ... أنَسِيتَ بَعْدِي خلَّةَ الأحْبَاب)[1]
لَمْ أَنْسَ إذْ أنْسَى عَلِيّاً والشَّجى ... ومُصابَ فاطِمَ طِيلَةَ الأحْقَابِ
يُتْمُ الوُجُودِ بِهِ ألَمَّ وآذَنَتْ ... أَنْفاسُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِذَهابِ
وغَدا كَأَنْ لم يَقْتَحِمْ سُوحَ الوَغى ... يَوْماً ولم يَكُ هازِمَ الأحْزَابِ
بادِي الجَوَى ناحَتْ عَلَيْهِ دُمُوعُهُ ... حتى وَجَدْتُ بِدَمْعِهِ أَهْدَابي
أسَفِي عَلَيْكَ أبا تُرابٍ ما الأَسى ... لَوْلا هَوَاكَ مَذَلَّتي وسِبابِ
ما كُنْتُ أَدْرِي ما البُكاءُ وما الجَوى ... مِنْ قَبْلِ حُزْنِكَ ما سَوَادُ ثِيابي
عَلَّمْتَني بَذْلَ المَحاجِرِ في الهَوى ... كَرَماً وأَنَّةَ فاقِدِ الأَحبابِ
وتَرَكْتَني نَهْبَ المَآسِي لا أَعِي ... إلا عُذوبَةَ لَوْعَتي وعَذابي
وعَشِقْتُ فِيكَ الحُزْنَ لا عَنْ ذِلَّةٍ ... اللَّيْلُ أَبْدَى في نَوَاكَ شِهابي
فَأَذَبْتُ قَلْبي إِثْرَ قَلْبِكَ أُسْوَةً ... بِكَ فالتَقى لَكَ مَدْمَعي وخِطابي
أكْبَرْتُ فِيكَ أبا الحُسَيْنِ سَجِيَّةً ... قد كُنْتَ فيها فِتْنَةَ الأَلْبابِ
يومٌ أَتَيْتَ الصَّبْرَ فيه كما أَتَتْ ... صُبْحاً لِقابِيلَ السَّما بِغُرابِ
وبَدَيْتَ مِنْ إِعْجَازِ رَبِّكَ مُعْجِزاً ... أَعْجَزْتَ فيهِ مَعَاجِزَ الكُتّابِ
وا لَهْفَتَاهُ لِهَضْمِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ ... ولِسِقْطِها مُلْقىً على الأَعْتابِ

---

(١) من أبيات لعليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام أنشدها بعد دفن فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولِعَصْرِها بَيْنَ الجِدارِ وبابِها ... الله ما صَنَعَتْ يَدُ الأَصْحَابِ

شَبُوا بِبَيْتِ اللهِ نارَ صُدُورِهِم ... وعَدَوْا على حُرْمَاتِ خَيْرِ كِتابِ

وأَتَوْا بها شَوْهاءَ دونَ طِلاعِها ... كُفْرُ البِلادِ وسُلْطَةُ الأَعْرابِ

ما أَسْفَهَ الدُّنيا إذا حَكَمَتْ بها ... أَمْرَ القُرونِ زَعَانِفُ الأَذْنَابِ

بِأَبي قَضَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ وما قَضَت ... إلا بِثَوْبِ كَرامَةٍ وحِجَابِ

وسَرى الزَّمانُ بُعَيْدَ يَوْمِ وَفاتِها ... أَعشى البَصِيرَةِ فاحِشَ الآدابِ

ولَوْ أَنَّهُم والَوْا عَلِياً ذا التُّقى ... لَغَدَوْا بِأَكْرَمِ طائِعٍ ومُجابِ

الأَنْزَعُ الفَذُّ الأَلَدُّ لَدى العِدا ... لَيثُ الحِجازِ مُقَطِّعُ الأصلابِ

والواحِدُ المُضَرِيُّ إنْ جِئْتَ الوَرى ... نَسَباً فَدُونَكَ قارِعُ الأَنْسَابِ

قُمْ سائِلِ الكَرارَ عَنْ تَغْسِيلِها ... وارْفَقْ بِهِ إنْ لم تَعُدْ بِجَوابِ

واعذُرْ أبا حَسَنٍ لِما قَدْ نابَهُ ... عُذْرَ السَّمَيْدَعِ فاقِدِ الأَنْيَابِ

فَلَقَدْ رَأى ما قَدْ أَعارَ إلى السَّما ... عَيْنَ الكَفِيفِ ولَهْجَةَ المُرْتابِ

يَبْكي كَأَحْمَرِ عَيْنِها وكَقُرْطِها ... نَثَرَ الحَشا أسَفاً عَلى الأَتْرابِ

وكَثابِتِ المِسْمارِ أَثْبَتَ لَوْعَةً ... دَكَّتْ عَلَيْهِ ثَوابِتَ الأَقْطابِ

وحَكَتْ سِياطَ مُتونِها أنفاسُهُ ... وكَمَتْنِها أَبْدَى على الجِلْبَابِ

ومُشَيِّعاً شَمْسَ النَّهارِ عَشِيَّةً ... أَجْرَى هُنالِكَ ذائِباً لِمُذابِ

يُرْعِيكَ نَفْساً مَنْ يُوارِي نَفْسَهُ ... ويُضِيعُ قَبْراً لاحِبَ الأَطْنَابِ

فلأَنْدِبَنَّ مِنَ الزَّمانِ حَوادِثاً ... ما طاعَ شَيْبِي حُزْنُها وشبابي

حَدَثانِ لا أَنْفَكُّ عَنْ نَدبَيْهِما ... ضِلْعُ السَّماءِ وهامَةُ المِحْرَابِ

عُجمُ ألفاظٍ وعُربٌ جُمعوا

(الرمل)

عُجمُ ألفاظٍ وعُربٌ جُمعوا ليقولوا في عليٍّ منقبَه
جعلوا البحرَ مِداداً لهُمُ وكُفوفُ الّليلِ كانت كَتَبَه
ولسانُ الدهرِ أضحى مُنشداً وقلوبُ الخلقِ أمست مُطربَه
طابَ ثديٌ لعليّ دَرُّهُ ونما بالخيرِ طُرّاً شاربَه

كعادتها بين الإبا والتعنّتِ

(الطويل)

كعادتها بين الإبا والتعنّتِ ... إذا لم تمُتْ شوقاً إليكَ تمنّتِ

أضرَّ بها طولُ الفراقِ فأنعشتْ ... على غيرِ قصدٍ في هواكَ وأرْدَتِ

ولم تدرِ قبلَ البُعدِ عنكَ بأنّها ... هي البُعدُ لكنْ في تُرابٍ تجلَّتِ

عليها بأنْ تلقى الخطوبَ شجيعةً ... فإن سَلِمَتْ عادَتْ وإلّا فطُلَّتِ

لها كلَّ يومٍ في نواكَ بليَّةٌ ... إذا لم يُزلها الصبرُ بالدمعِ زلَّتِ

ثقيلٌ على الدنيا وإن عفَّ ظلّها ... وإن دُعيت عوناً على النوح خفّتِ

عليها من العزّ القديم بقيّة ... ولولا تعاطيها الغرام لرثّتِ

ولم أدعُها روحاً وإنّ مِحلَّةً ... أقمتَ بها يوماً على الخُلدِ أرْبَتِ

حنانيكَ لا نادتْ بتلبيثك الوغى ... فلستُ بمُرجٍ في أعاديكَ سطوتي

ولا قنعت بالحلمِ نفسُك زينةً ... إذا لم تُقِمْ بالبيضِ طيشَ الفتوّةِ

فما ضرّت الأيّامُ حُرّاً بجورها ... ولكن إذا أمسى بعيد المنيَّةِ

وقد بدّلتْ غيري الخطوبُ على النوى ... وما بُدِّلتْ يا بن الزكيّ هُويَّتي

وإنّي لألوي الضيم بعدك بالردى ... وإنّ اللتيّا تُتّقى اليوم بالّتي

فراقُك أم حزني؟ أم الغيظُ والعدا؟ ... وأفدحُ منهم في وِلاكَ تقيّتي

وختلُ الرزايا؟ أم جمالُك والهوى؟ ... ولم أدرِ فيمن لو شكوتُ رزيّتي

أجرني رعاكَ اللهُ من كلِّ شدّةٍ ... وحسبُك أن أضحت بوصلكَ شدّتي

ولستُ الذي ترضى الشقاوةَ نفسُهُ ... ولكنْ إذا حاشاكَ ترضى بشِقوتي

لغيري أن تلتذّ بالعيشِ أمُّهُ ... وأن لا تعي أهلوه طعم المعرّةِ

ولي أن تريق الدمعَ أمّي مروعةً ... وقد عاينت بين الخميسين جثّتي

أنا ابنُ قديم الدهر ملكاً وسؤدداً ... وجدّ جديديه الفدا والحميَّةِ

وأجرأ من في الأرض قلباً على الأسى ... وقد سُبيت أهلي ولم تبقَ عُصبتي

وإنّي لأولى الناس في الناس إمرةً ... لو الأمرُ شورى كانَ بين الأسنّةِ

ولكنْ إذا الدنيا على المرء أقبلتْ ... إليه أعارت حُسن من عنه ولّتِ

ولو ثَمّ من يُرجى من القومِ نصرُهُ ... رجوتُ، ولكن حيُّ قومٍ كميّتِ

وكيف يُرجّى نصرُ قومٍ إذا رأتْ ... كرامُهم العفَّ الفقيرَ اشمأزّتِ؟

يُصان لدى كلِّ من المالِ وفرُهُ ... لعرضٍ له بين الرجال مشتّتِ

وكلٌّ يُنادى بالأصالةِ والتُقى ... وما هو إلّا من عبيدِ الفِرنْجةِ!

كأنّهمُ الجدرانُ تُرجى لظلّها ... ومثلُ قفاها وجهُها حيثُ حُطَّتِ

يكادون من أكل الربا لو رأتْهُمُ ... نسورُ الربى عن أكلهم لاستعفّتِ

عباديدُ لا يُبكى على الميْت منهم ... وليس يُهنّى حيُّهم بالأبوّةِ

وإنّي لأهجوهم على غير رغبةٍ ... ولكنّني في الكلبِ جرّبت صَعدتي!

فلا هُمْ لي الأعداء تُخشى سيوفهم ... ولا هم لي الأصحاب يوم المبرّةِ

ولا هُمْ هُمُ لكن هُمُ غير أنّني ... جديدة عهدٍ بالتماثيلِ مُقلتي

وقد شتّت الأهواءُ كلٌّ ودينُه ... ولا زلتُ شيعيّاً على دين جدّتي

أوالي عليّاً لستُ أعبأ بعدها ... على أيّ جنبيها البلادُ استقرّتِ

أواليه لا كَرهاً ولستُ بطائعٍ ... ولكنْ وجدتُ الدينَ بعد المروّةِ
ولن أرتضي مولى سواه على الورى ... وإنْ جحدَتْهُ القوم حقّ الوصيّةِ
وإنّي لأهواه وإنّي لعبدُهُ ... وإنّي لديني في الغرام وملّتي
ولستُ الفقيهَ الحبرَ في المُنتمى له ... ولكن على ما ساءَ آلَ أُميّةِ!
وليست تعي ما الضيف نارُك والقرى ... وقد أرشدتْ رغم الظلام وأقرتِ
هو الشطر من طه وجوهرُه الذي ... به الأنبياءُ المرسلونَ تبدّتِ
وإنهُ من قد خُصَّ يومَ غديرها ... بفرض الوِلا من بعدِ فرض المودّةِ
به عُبِدَ الباري وشُرّف دينهُ ... وكُذِّبَ لولاهُ مقامُ النبوّةِ
ولم أدرِ من لولاه شادَ ومن هدى؟ ... أرهط ابن حربٍ؟ أم جدود ابن شعبةِ؟
ومن قال لي كانت أميّة سادة ... ورايتها الحمراء في بطن مكّة!
بنو هاشمٍ بين الرِفادة والسِّقا ... وهم بين هندٍ في البِغى وسُميّةِ
وحسبُ ذراري شيبة الحمد أنّهم ... على أيّ حالٍ غيرُ أبناءِ عُتبةِ
تهالكت الأقوام، قومٌ على العُلى ... وقومٌ على نيل الدُنا والدنيّةِ
لذلك يُبكى الميت من آل هاشمٍ ... وميتُ بني صخرٍ إذا مات سُرّتِ
وليس شريف القوم من جاد أو سطا ... ولكنَّ من أبكى شريف البريّةِ
وإنّي لأغضي عن كثيرٍ سوى الهوى ... حذاراً عليه من يدٍ غيرِ عَفّةِ
ولستُ له أهلاً ولكنّه غدا ... كمسلمَ لمّا لم أكن غير طوعةِ
لذاك أطعتُ النوح غيرَ مذمّمٍ ... وأغفلتُ عن كوني المباحة مُهجتي
ودارأتُ عنّي الموت بالشجوِ والأسى ... وقد كان في يوم الكريهةِ نُجعتي

وجاهلتُ حتى لا أرى الجبنَ سُبّةً ... على أنّني لا تجهل القوم جرأتي
وما وَلَعي بالنوحِ إلّا لغيظةٍ ... أُججها ما بين وجدٍ وزفرةِ
ولستُ الذي ينسى التِّرات وإنّما ... لبيثةَ أن أقضي من الحزنِ فورتي!
وإنّي لمشتاق لقومٍ نفوسهم ... إذا حدّثوها بالحياة اشمأزّتِ
خلتْ منهم الأيّام إلا مناقباً ... على أعين الباكيهمُ كلّ عبرةِ
رجالٌ، وما بعدُ الرجالُ مزاعمٌ ... وإن عظمت ما بين وهمٍ وغفلةِ
فإنْ بعدَهم تسمُ الرجال لهمّةٍ ... فللموت من كربٍ عليهم ولهفةِ
همُ القومُ ملءُ المجد، شغلي هواهُمُ ... أبي دونهم يوم الفداءِ وإخوتي
ولا كطلاع الأرض هذي قبورهم ... غدت وهي من شوق إليهم تعِلّتي
ضرائح إن تبنى المساكن بعدها ... لغير التناعي فهي سكن المذمّةِ
وليست ترجّى بعدهم أمّ معشرٍ ... إذا لم تلد للندب أو للأعنّةِ
مصارع قومٍ لا تُذام كريمةٌ ... بها فضح الموت الحياة فأخنتِ
وأضرحة يغري الأماجدَ حُسنُها ... بأن يسكنوا الأجداث قبل المنيّةِ
عليها وقفتُ الرحل أومي لوفدها ... بأن سبّحوها بالضحى والعشيّةِ
وحيّوا ثراها بالمدامعِ إنّها ... لأهيبُ من أن تلتقى بالتحيّةِ
وأن عفّروا فيها المساجد للتي ... هي العَزَمات الغر من كلّ سجدةِ
وحُجُّوا لها حجَّ الحجيج لمكّةٍ ... فما البيتُ إلّا دونها بالمزيّةِ
ولو ترك البيت التقيّةَ زارها ... وطاف بها من كلِّ قبرٍ بقبلةِ
قبورٌ حوت من آل طه عصابةً ... إليها يُشدّ الرحل من كلّ بلدةِ

تنوب مناب الوحي من كلّ معجزٍ لطالب رفدٍ أو لطالب حُجّةِ
ونافت على الأيّام أيامها وقد أحيلت فقامت في مقام الأهلّةِ
بلى هذه القصوى من الطرف مرمقاً وهذي القصارى ههنا ويكَ قرّتِ
وهذي هي الـ(ما ضلّ صاحبكم وما) غويتُ، ولكنّي كتمتُ فأفشتِ
فسلها ولا تسأل حذيفةَ إنّها حذيفة لكن من نضار وفضّةِ
بكوفان والأبواء منها ونينوى وطوسٍ وسامرّا ومصرَ وطيبةِ
وبالكرخ من بغداد منها وقد سمت بخمّ وباخمراء ويكَ ومؤتةِ
وفي بَلَدٍ هذي، وفي الريّ مثلها تُسامي التي في الجوزجان تَعلّتِ
وفخّ وفي كاشان، والشامُ قد حوتْ كشيراز منها والحجون ببكّةِ
وفي أُحُد منها، وقد ضلَّ غيرها غداة بأيٍّ ليس يُدرى وأيةِ
شِتات بأركان البلاد وسهلها لقد شُيّدت والبعض ثمّة هُدّتِ
لقىً أهلها ما بين سُمّ وصارمٍ قضت بين هندٍ لا قضت ونفيلةِ
وآثارها في القتل نحن وفي الأسى وأعداؤنا آثار أعداهم التي
ألم ترَ أنّا بعد يوم محمّدٍ بُلينا بدعوى أنّنا أهلُ رِدّةِ
وأنّا حلالٌ مالُنا ودماؤنا إذا لم ندنْ للخالفين ببيعةِ
وأنّا رفضنا المسلمين جماعةً ولم نكُ من طه بأهلٍ وصحبةِ
فهبْ أنّنا أهلُ الضلال كما ادّعوا وهبْ أننا لا شيء بل أهل بدعةِ
وهبْ أنّنا أعداءُ جلّ جلالُه فهل أولياءُ الله آلُ عُليّةِ؟
وهل أمناءُ الله عُبّادُ غيره؟ أو الوحيُ تؤتاه الملوك بأجرةِ؟

وهل بالعمام العقل كان وباللحى ... إذا احولّت العينان عند التثبّتِ؟
بكوفانَ لم صُلِبا رُشيدُ وميثمٌ؟ ... ولِمْ كذّبتْ صِفّينُ صدقَ خُزيمةِ؟
ومن قتل الكنديَّ حِجراً وصحبه ... على مرج عذرا؟ سل فديتُك أمّتي!
وهل قتل الزهراءَ جُندبُ فاختفى ... إلى أن قضى ما بين فيدٍ ومكّةِ؟
أم الأشتر ابتزّ الخلافةَ أهلَها ... حفاظاً على الإسلام من كلّ فتنة
إلى أن غدا أمرُ الخلافة فلتةً ... فأرداه سُمُّ النحل في غيرِ فلتة!
وهل أن عمّاراً قضى حتف أنفه؟ ... أو الكلّ أردتهم دِبابُ الثنيَّةِ؟
تركنا حقوقَ الله ثم حقوقنا ... ورمنا وئاماً بين هندٍ وحمزةِ
وقلنا بنو الإسلام نحنُ وغيرُنا ... ولكننا يا قوم أبناء عَلّةِ
فلم يبرح السلطان عجل بن مرّة ... وما نحن إلّا مالكُ ابن نويرةِ
بلى، عادت العزى إلهاً على الورى ... ولكن بأثواب الملوك تزيّتِ
وشحّت رجال الله حتى استعاضهم ... بكلّ سجاح في البلادِ نبيةِ
وعاد بعيراً فيل أبرهةٍ فلم ... يُطق هدم بيت الله إلّا ببغلة
وهذي بنو الدنيا على همّ عيشها ... تحاول أمراً بين عارٍ وعورةِ
سوامٌ بلا راعٍ، وإن رعيت غدت ... رعاعاً على أعقاب كلّ مطيّة
فلا الذُّلّ مُخزٍ، لا ولا حُمد الغنى ... لديها، ولا بالفقر لو هي عفّتِ
ودهرٌ به الأمّات شيباً تبرّجتْ ... عليه المخازي سلّمتْ ثم صلّتِ!
تديّنت الأعجاز فهي معاجزٌ ... رويدك بل فوق الكواهلِ عَلّتِ
وإن ذيول الخيل خُرسٌ وإن زهت ... ولكن إذا شُدّت على العود غنّتِ

أدرها سِمامَ الكاس تُردي بيه الصبا ... وقل لي بأنّ الموت فقد الأحبّةِ
وعلّلني بعد البين بالشعر والبكا ... وحسبك هذا الرسم سقمي ووحشتي
وهبْني حياة الذكرياتِ ووجدَها ... فما المرءُ إلّا لوعةٌ بعد صبوةِ
جمالُ الفتى في العيش وصلُ أحبةٍ ... وحُسن شبابٍ بين نُبلٍ وهمّةِ
فإن فُقِدا فالمرءُ آثارُ غابرٍ ... وغربة حيٍّ وانتظار منيّةِ
فعدّد فداك النفس واذكر لي النوى ... ونُحني على ما فات من عهد إلفتي
وودّع بي الآمال من أوبة الهوى ... فقد ضلّ ذاك الودّ بين الأزمّةِ
غداة سروا من بعد علم لديهم ... بأنهم داري المنيع وبلدتي
بل الناس هم عندي جميعاً وقد دروا ... جَناني همُ تحت الضلوع وبُردتي
فيا حاديَ الأظعان قفني بحيّهم ... وأُعطيك من وُلْدي كرايةَ وِقفتي
وإلا فدعني لا تقف أُعلم الورى ... بأنْ ليس شيءٌ غيرَ نفس وفيّةِ
وما كان يرضيني الفراقُ بمشهدٍ ... إذا لم تُرِق فيه الأسنّة عُلقتي
أو الموت فاعلم إنَني إثر معشرٍ ... بهم دلّت الناسُ الوفاء فدلّتِ
لهم كلُّ مصلوب على جذع نخلةٍ ... تَسَاقطُ أمجاداً إذا هي هُزّتِ
تمامٌ من الأقمار أهوَتْ لجيبها ... له الشمس لمّا أن تردّى فشقّتِ
ومنهم رهينُ السجن من كلّ راهبٍ ... وما صاحباه غير موتٍ ووحدةِ
حديباً علاه القيد حتى إذا استوى ... أراقَ الضحى من بين حُسنٍ وهيبةِ
ومنهم بأكنان الجبال تستّرتْ ... لفضحِ ظلومٍ أو لحَينةِ أُهبةِ
وما كان من جُبنٍ ولكن خوافياً ... من الباز إن رام الطريدة عنّتِ

ومنهم لفرط الجور كلّ كريمة تقاسَمُ ثوباً بين أخت وعمّةِ
تردّت ثياب العز والدها فما رأت بعده إلّا البُكا فتردّتِ
وما نالَ منها الجور حاشا معفّةً ولكن هوانٌ بعد عزٍّ ومنعةِ
ومنهم قطيع اليمنيين على السقا وفاءً وما بُلّت حشاه بغرفةِ
وقد كان حلّاً لو تروّى وإنمّا أبى حِجرُ أمٍّ أن يُذامَ وفيّةِ
بكتْهُ على شطّ الفراتِ محاجرٌ لآلِ تعالى بين فخرٍ وحسرةِ
عليه جلالٌ من عليّ ونضرةٌ تُريكَ تمامَ الحمد من آل شيبةِ
أُلاك فداء الدين والناس غيرهم فداء قصور فارهات ولذّةِ
فلا أمُّهم أمّ على أيّ حالةٍ ولا لأبيهم دعوةٌ بين ستةِ
هم الخلق لولا الله أنشأ خلقهم لأنشأهم فرط التُقى والحميّةِ
بنو الخير طه والوصيّ وفاطمٍ وهم دينُ دينِ الله من كلّ شرعةِ
وهم آله القربى فلم بعُدت بهم فديتُك عن حقّ الخلافة أمّتي؟
رزاياهم أبكت عليهم عُداتهم وألبست الإسلام ثوب الرزيّةِ
فدعني وحزني، لستُ للقوم ناصراً ولكنّني أبكي على فوت نصرتي
وإنّيَ لا أدري سوايَ على الهُدى إذا لم يُنُحْ مثلي على مثل علّتي
فديتُ بقايا السيف من كلّ طفلةٍ وأمٍّ قتيلٍ في الوغى وسبيّةٍ
تنوح لبرّ في الرجال وقد خلا محلّ يديه من نوالٍ ورأفةِ
لقد كان يسليها عن الوجدِ حسنه فباتت تسَلّى بعده بالأهلّةِ
سبايا غداة الطف سيقت حواسراً وما شيخها إلّا عليّ الأئمّةِ

تقلّبها الأكوار بادٍ مضامها ... لسكنى خرابٍ أو لساحة فُرجةِ
وتهتف بالآساد من آل غالب ... وما هتفت، لكن بكت ثمّ أومتِ
وأنى؟ وهم صرعى المكارم في العرا ... بغير ظلال البيض لولا استظلّتِ
بنفسي أبيَّ الضيم ما بصُرتْ بهِ ... على جُنُبٍ أختٌ له ثم دلّتِ
بل الخيلُ دلّتها عليه فأبصرتْ ... على أمَمٍ ملقى أخاها فأنّتِ
تجول عليه العوجُ نهبٌ رحاله ... ورأس له من فوق موراء صعدةِ
وشيبته بالعزّ تقطر والدما ... عليه البتول الطهر بالويل ضجتِ
مضى وهو زينُ الأرض طوعَ نقيبةٍ ... أَنُوفٍ على عيشٍ الهوان أبيّةِ
فذلّت له العلياء وهي حرونةٌ ... من الطعن لا من ميل نفسٍ ورغبةِ
فأمسى وما أمست له الأرض والسما ... كزينب مذ أمست بتلك العشيّةِ
تقاسي عليه الوحشتين؛ فراقَه ... وليلاً عليها من عدوّ وغُربةِ
وإنّ الذي أدهى: الصباحُ، وقد دنت ... لها النيب والأغلال لا قِيلُ ذَلّتِ
ولم أدرِ أن الصبح من عدة العِدا ... إذا كانت الأعداء آل أميّةِ!
سأمضي على أنّ المنيّة موعدٌ ... لعقبى حياة في الحُسين جريّةِ
تُزان بها ألفاظُ كلّ متيّمٍ ... وإن خليت أحشاه من نار مُهجتي
هواي هو الباقي وذكرى الذي مضى ... وأقصى الذي في النفس من كلّ مُنيةِ

إمام العصر لا أدري برضوى

(الوافر)

إمام العصر لا أدري أرضوى ... يحلُّ بها ويبقى كالشريدِ
وهل عند البقيع تراه جاثٍ ... فيندبَ كلّ ذي قبر وهيدِ
ولا أدري إذا في جنب فاطم ... إذاً صار البعيدُ إلى البعيدِ
فأطنِبْ في المغيب فإنّ شعري ... سيُسهبُ في المقالةِ والغَريدِ
وسافر في الفلاة وحيد ركبٍ ... سأخطو إثر قافلة الوحيدِ

تركنا العيش للأنذالِ زُهدا

(الوافر)

تَرَكنا العَيشَ للأنذالِ زُهدا ... وسُقنا الدَهْر من أُذنيهِ عَبدا

وطُلنا بالقنا الأفلاكَ كِبْراً ... ولو شئنا امتطيناهنّ جُرْدا

وأبدلنا البنينَ بكلِّ عَضبٍ ... بهِ أنِسَتْ عِدانا الذُلَّ رُشْدا

وصاوَلَنا الزمانُ سُوَيْعَ طَيشٍ ... فجئناهُ بشيءٍ كان إدّا

وأوفينا المراضع كُلَّ عهدٍ ... على أجدادنا قد كانَ عَهْدا

وأوْرَثْنا يتامانا المواضي ... وأورثَ غيرُنا حَسَداً وحِقْدا

ولسنا حمزةَ المغشيّ لكنْ ... عِدانا لم تَزَلْ في الناسِ هِندا

فَكَمْ خُضنا نُحوسَ الأُفْق حتّى ... رددناهُنَّ بالغاراتِ سَعدى

وَكَمْ رامَ الغبيُّ بنا هواناً ... فكُنّا والسماءُ عليه لَحدا

فلمْ نضْرَعْ ليومٍ كانَ أمْناً ... ولم نجْزَعْ ليومٍ كانَ وجْدا

وما أَنَفُ الإبا شيءٌ سوانا ... ولم نعِ غيرَنا في الدهرِ مَجدا

بنا عَرَفَ العُلا معنى التعالي ... وفينا كانت الجنّاتُ خُلدا

ألا أبْلِغْ بني الدُنيا جميعاً ... ولستُ أراهُمُ واللهِ نِدّا

بأنَّ الأرضَ نحنُ المالكوها ... مسالمةً، وإلّا كانَ عَنْدا

وليسَ لمَطْمعٍ فيها ولكنْ ... تِراتُ دمٍ ولم نرَ عنهُ بُدّا

بلى كمْ قَدْ أثبْنا الظُلمَ صَفْحاً ولم نُجزئ يدَ الإحسانِ صَدّا
وإنّا كُحْلُ أهلِ الأرضِ لكنْ عدوُّكَ عينُهُ يا سَعْدُ رَمْدا
وقد مَلَكَ الورى قومٌ سِوانا عشيّةَ كانَ تركُ المُلكِ حَمْدا
بماذا سادَ هذا الغربُ قل لي وهذا الشرقُ من ولّاهُ عَهْدا
أسادا بالعُتوّ أم التعرّي أم الحقدِ الّذي سمّوهُ وِدّا
أم افتدوا الورى سلِمتْ يداهم فصارَ العَيشُ بعدَ الكدّ رَغْدا
بلى، قد عظّموا الإنسانَ حتى ادّعوه لعُنصرٍ قد كان قِردا
وأعطوهُ التحرّرَ ليسَ يخفى ولكن ألبسوهُ العارَ عِقْدا
وما هذي الحضارةُ غيرَ سحرٍ يُخيّل جزرُها للعينِ مدّا
أعيراني خليليّ ابتساماً وإنْ كان البُكا للحالِ أجْدا
ولكنْ جِدُّ قومٍ باتَ هَزْلاً وشرُّ الهَزْلِ ما قدْ كانَ جِدّا
فأديانُ السما في الأرضِ باتَتْ بأرجلِ ساسةِ الأديانِ نَرْدا
ولستُ أقولُ إنّ الناسَ جَهلٌ ولكنْ لا أرى للعقلِ رِفْدا
وما عَتْبي على كُلٍّ ولكنْ على من يدّعي التوحيدَ مَبْدا
وأرضٍ قد سقيناها دِمانا وآباءً حشوناها ووِلْدا
فكادَتْ تَنْبُتُ الكُثبانُ مِنْها مكانَ النبْتِ عُقْباناً وأُسدا
أريحا يا خليليّ المَهارى وأعلمُ أنّها لم تشكُ جُهْدا
فقد عوّدْتُها التِّرحالَ حتّى وعَتْ شكّ الفروضِ الخمسِ عدّا
وما التشريدُ أقْلَقَها ولكنْ رِحالٌ لم يُصِبْ أهْلاً فشُدّا

ولو دَرَت المُراحَ اليوم دَرّتْ لفرطِ سُرورها راحاً وشَهْدا
أريحاها فلي كوفانُ عنّتْ ودمعي ويْكُما هذا تَبَدّا
وإنّيَ من إذا أبصرتُ حُسناً صبوتُ ولم أكنْ يا صَحْبُ جَلْدا
أريحاها فإنّ المرءَ وَغْدٌ إذا عَرَضَ الجَمالُ وعنه صَدّا
أيطلُبُ عيْنَكَ المكفوفُ حتّى يَميْزَ الغيَّ من رُشْدٍ فيُهدى
فتُعطيهِ فيُهْديها أصمّاً دعيّاً من بني العُميانِ عَبْدا
ليُسْعِدَهُ على الأيّامِ بينا هما كانا على الأيّامِ نَكْدا
فلا سَعْداً أصابَ ولا رشاداً ولا عينَ الّذي أعطاهُ ردّا
كذا كوفانُ حينَ دَعَتْ حُسيناً فأرسلَ مُسلماً لَهُمُ وأسدى
فأهدوهُ لنغلِ بني زيادٍ فلُمْنيَ أو فَدَعْ إن متُّ كَمْدا
وأغْدَرُ مِنْ عُبيدِ اللهِ عندي من استدعاهُ ثُمّ عليه أعدا
حَمَتْهُ بأنْ يُضامَ منونُ عِزٍّ وروعةُ خَوْضِهِ الأهوالَ فَرْدا
وأعراقٌ نزاريَةٌ أبتْ أنْ يُسالمَ من بني العَبَلاتِ وَغْدا
فكانَ منَ الحُسينِ شقيقَ روحٍ أراد هوانها دَهرٌ فأكْدا

عواطفُ القلب أم خوّانةُ الجَلَدِ

(البسيط)

عَواطِفُ القلبِ أَم خَوانَةُ الجَلَدِ ... أَم ذِلَّة الكَلبِ أَبكَت شيمَةَ الأَسدِ

أَم أنها مِنْ طِباعِ الماءِ واحِدَة ... أَبْدَتْكَ يا ابنَ النَّدى في الحالَتَيْنِ نَدي

تَبكي عِداكَ وهذي ذاتُ حيدرةٍ ... وتلكمُ تَيمُ عادت في ضَلالِ عَدي

وتِلك فاطِمُ في الأَعتابِ حينَ هَوت ... لاقَت رُقيَّةَ في قيدٍ من الكَمَدِ

ما أَشبَه اليومَ بالأمسِ الذي انتَحلَت ... فيه البُغاثُ صِفات الأجدَلِ النهدِ

وأيُّ يومٍ أحالَ الدهرَ معركةً ... فغادر الوِدَّ في جوٍ من اللِدَدِ

حتى استلدَّ على سِبطِ النبي ضُحىً ... وجاءَ يسعى على أرضٍ من الحسدِ

ورام أبنا عليٍّ أَن تُذَلَّ لهُ ... وذاك ما يُضحِكُ الثكلاء في الولدِ

أبناءَ هندٍ وأينَ الفَضلُ عندكُمُ ... ممن أقاموا السما فضلاً بلا عمدِ

وأَين أَنتم ومن كادت عبيدُهمُ ... تُفاخِرُ الرُسلَ بالإجلالِ والعِدَدِ

كلاكما شِرعَةٌ تُؤتى ولا كَهُمُ ... عَيْنُ الصَّفاءِ وأنتم مَوْرِدُ النَّكَدِ

إنَّ الحَقودَ إذا ما اعتلَّه رَمَدٌ ... أبادَ عينيك كي يُشفى مِنَ الرَّمدِ!

فَحسبُكم آلَ هندٍ مَفخَراً أبداً ... بِأنَّ لاعِنَكُم يَنجو من الشِدَدِ

ولو أُمِرتُ بكم ما كُنت عائِفَكم ... حتى تَبيضَ المها حوتاً على وَتَدِ

وَكم تَذَكَّرتُ يومَ الطفِ موقفَكُم ... حتى أَسَلتُ به يومَ الجَوى كَبِدِي

يوم التقَيتُم ويا شتانَ بينكُمُ ... لكنها الأرضُ من حيٍّ ومُلتَحِدِ
يوم الطفوف ويا تَعساً إذا لَطَمَت ... على سوى الطف فوق الوَجنَتين يدي
ووَيلُ عينيَ إن لم تبكِه حِمَماً ... من قلبِ قَلبِ حَشاً بالوجدِ متقدِ
لغيرِه قد وجدت الحُزنَ منقصةً ... ودونَهُ قد رَأيتُ العيشَ ذا أَوَدِ
وذاك لا سَفَهٌ كلا ولا شِيَةٌ ... ولا نَقيصَة حظِ العقلِ بالرَشَدِ
لكنَّه المَكثُ بعد السيلِ حين طَما ... في الأرض مايَزَ بين النفعِ والزبدِ
فَهاكها زينبَ الحوراء لعلعةً ... تُزجي العَناءَ على بَحرٍ من الرَّغدِ
تُنشي المراثيَ إلا أنَّها مِدَحٌ ... ذِكرى أبي الفضلِ في أحشاءِ مُنتهِدِ
حَجرٌ على غيره ذِكرُ الوَفا أبداً ... إذ لم يَدَع في الوَفا جُهداً لِمُجتهِدِ
ولن يُرى مِثله يومَ الإخاءِ فتىً ... إلا أبوهُ ولولاهُ لَقُلتُ زدِ
فَردٌ ولو بَعضهُ في الخَلقِ كُلِّهِم ... أَلفَيتَ كُلاً نبياً في الأنامِ هدِ
وأروعٌ لو قَطَعتَ الدهرَ مفتكِراً ... فيه ضَلَلت على بدءٍ بلا عَوَدِ
ومن يكن دهرُه من صُنعِ همتهِ ... أنالك القربُ منه حالَ مبتعِدِ
وكيف تسمو له أسمى النفوسِ وقد ... فدَّاهُ بالنَّفسِ وجهُ الواحد الأحدِ
هَولٌ تُحيطُ بِه الأهوالُ حيثُ سرى ... حتى ولو سارَ في الأوهامِ والخلدِ
مُستأسِدُ البأسِ مَأمونُ الجوارِ سما ... كأنَّه الدهرُ في رفقٍ وفي جَلَدِ
لو أنذَرَ الشَّمسَ يوماً ما بِمَعرَكَةٍ ... لأمستِ الناس في ليلٍ إلى الأبدِ
تُريكَ سطوتُهُ بالأمسِ بطشَ غدٍ ... كما يُريكَ نَداهُ الأمنَ بعد غدِ
إن لم يكن من بني الزهراءِ فهو لهم ... كالظِّلِ، والظلُ يحكي هيكَلَ الجسد

فأين موسى وقد نُودي بوادِ طوى ... أمناً ونَعلَيكَ فاخلَع فيه وارتشدِ
مِنَ الذي خَلَعَ الكفين حين دُعي ... لدى الإخاءِ ولبّى غير مرتعدِ
يدٌ كَأَن قد شأت في المَجدِ صاحِبَها ... لذا هَوَت قَبلهُ فَخراً ولم تحدِ
عباسُ لما أتته زينبٌ وشكت ... ضَجَّت أرامِلُ جَيشِ الكفرِ بالبلدِ
أُخَيَّ مثلك عارٌ لو دُعي لبلا ... والفضلُ في الجودِ قبل السُّؤلِ إن تَجُدِ
فَقَرَّب المُهرَ وانتاشَ اللِّوا وتلا ... اليوم قد خُلِقَ الإنسانُ في كَبَدِ
وجاء يَعدو إلى جيشِ العدى غضِباً ... أفديهِ مُحتَشِداً يعدو لمُحتَشِدِ
فلو رَأتهُ النَّصارى يومَ غارَتِهِ ... قالت: (هو الله لم يولد ولم يلدِ)
عالٍ على متنِ عالٍ في الهياج علا ... كأَنَّه مُنجِدٌ في مَتنِ مُنتجدِ
يسطو على الجمعِ لا نكسٌ ولا وَجِلٌ ... تظُنُّه الجمعَ في أثوابِ مُنفَرِدِ
لما التَقَتهُ الأعادي قال قائِلُها: ... إنَّ الشجاعةَ تردي كثرةَ العددِ
كأَنَّما اللهُ أنشاهُ ليُعلِمَنا ... إنَّ المنيةَ للإنسانِ في رَصَدِ
وأغلَبٌ لا تراهُ ضاحِكاً أبداً ... إلا وصمصامه يبكي على القددِ
ترى به حيدرَ الكرارَ في أحُدٍ ... وحمزةَ الأسد المغشيَّ في أحُدِ
واللهِ لولا نفاذُ الموتِ فيه لما ... أبقى لآلِ الخنا لحداً لمُلتحِدِ
قُل للقيامَةِ قومي بعدَ مقتلِه ... كي لا تُرى زينبٌ مدميَّةَ العضدِ
كي لا تُرى في السِّبا نسوان حيدرةٍ ... يقودها السوطُ من هضمٍ إلى صَفدِ
تنعى وليتَ علياً كان ينظُرُها ... لقال يا شمسُ عن حدِّ الحِمى ابتعِدي
مَغلولة الكفِّ والأعناقِ باكيةً ... نصب العيونِ بدت مَحنية الكَتَدِ

الله يا من على رملِ الطفوفِ عدت ... وعينها تَنفُثُ الأحزانَ في العقدِ
تعدو وتَندِبُ واغوثاهُ صارخةً ... وشيخُها نَهبُ مسلولٍ ومُطَّردِ
عارٍ على حَرِّ أرضِ الطفِ منجدلٌ ... لهفي عليه تَربَ الوجنتين صدي
لم تُبقِ منه العِدى شلواً لدافِنِهِ ... تَسومُهُ الخيلُ ما تهوى من الطَّردِ
فأين عنهُ ليوثُ الغابِ من مُضرٍ؟ ... وأين فِتيانُ عَلْيا بيضةِ البلدِ؟
وأين من هاشمٍ بيضٌ وأفئِدَةٌ ... إذا دنا الرَّوْعُ قالت للنسورِ فدِ
أبلغهُمُ أنَّ في الركبانِ زينبَكم ... ورأسَ سيِّدِكم لابنِ الزُّناةِ هُدي
وأنَّ قرآنَكم عفَّت معالِمُهُ ... وغيركم ناصراً والله لم يَجِدِ
وأنَّ دينَ الورى قد باتَ يحكُمُهُ ... من لا يعي الفَرقَ بين السبتِ والأحدِ
من بطنُهُ وحِجاهُ في المَقالِ سوى ... تظُنُّه البعرَ في ثوب من البَرَدِ
من كلِّ ذي نسبٍ أخنا وأُمِّ أبٍ ... لم تدرِ مَنْ بعلُها في نِسبةِ الولدِ
أعاذنا اللهُ منهم إنهم همجٌ ... إذ لا يُرى جمعُهم إلا على البددِ
إني أُجِلُّ لساني عن هجائِهِمُ ... وحسبه الكلبُ ما يلقى من الأسدِ
وغيرُ قول الفتى ما كانَ يُضمرهُ ... النار في القولِ غيرُ النارِ في الجسدِ
بقيةُ السيفِ أبقى عزَّةً وإبا ... ودون نَيلِ الأماني ضَربةُ العمدِ

ولدته في حرم الإله وأمنه

(الكامل)

(ولدته في حَرَمِ الإلهِ وأمْنِهِ) فدرَتْ قُريشُ بأنّ ذِلَّتَها غدُ
واللهُ يَشْهدُ لم تَلِجْ مِنْ بابِهِ (والبيتُ حيثُ فناؤُهُ والمسْجِدُ)
(بيضاءُ طاهرةُ الثياب نقيّةٌ) أسمى من العذرا أقولُ وأمجدُ
جاءَتْ بهِ إلّا النبوّةَ أحمداً (طابَتْ وطابَ وليدُها والمولِدُ)
(في ليلةٍ غابَتْ نُحُوس نُجومِها) وعلى اليهودِ هَوَتْ مِنَ البؤسا يدُ
فيها تجلّى الصبْحُ في ثوبِ الدُّجى (وَبَدتْ معَ القَمَرِ المُنيرِ الأسْعُدُ)
(ما لُفَّ في خِرَقِ القوابِلِ مثلُهُ) أبداً، ولا كأبيهِ نالَ موحِّدُ
بل ليسَ نفسٌ في الوجودِ كنفسِهِ (إلّا ابن آمنةَ النبيّ محمّدُ)

تُقاد لها فوق الجباه العساكرُ

(الطويل)

تُقادُ لها فوق الجِباهِ العساكرُ ... وتُرقى لها تحتَ العَجاجِ المنابِرُ

وتُدمى لنعليها نحورُ بني الورى ... فداءً، وإلّا فلْتَدَعْكَ المفاخرُ

علاما تصونُ النفْسَ يا غيرَكَ الفنا ... وأعداكَ مُلّاكٌ وباعُكَ قاصِرُ

وما قيمةُ العينينِ ترجو ضياهُما ... وقد هوّما ليلاً وذُلُّكَ ساهِرُ

وليسَ بطبْعِ النفسِ أشهى من الرّدى ... إذا حقّرتْها في النفوسِ المحاذِرُ

وإنَّك من تهوى وأهلُكَ من تعي ... وقَدْرُكَ ما تبقيه منكَ المآثرُ

وأعظمُ بطشٍ يُتّقى فوتةُ العُلى ... وخيرُ البقايا المجد ما أنتَ ذاخِرُ

ولا ثوبَ يكسوكَ المهابةَ في الورى ... إذا لم تمزّقْهُ عليكَ الحوافِرُ

سجيّةُ آبائي وديدنُ معشري ... وإلا فأعدائي قتيلٌ وحاذِرُ

وقفت ولولاكِ المعالمُ لم أقف ... غريباً ودمعي في ثَراكِ المَعاشِرُ

كأنّي ومغناكِ الّذي جئتُ واهِماً ... أثيماً رَمَتْهُ بالقنوطِ الكبائِرُ

أُجيلُ عليكِ العَيْنَ وهي تُجيلُني ... وبينَ كلينا الصبرُ واللّهفُ حائرُ

حرامٌ عليَّ النّوحُ يا دارُ والأسى ... وعارٌ إذا لم تُدمي صدري المحاجِرُ

ولُؤمٌ وقوفي في رُباكِ متيّماً ... ولمْ تُطلَ من جاري حشايَ المناسِرُ

سِواكِ من الأوطانِ يُجفى جِوارُهُ ... وغيري في العُشّاقِ بالحبِّ تاجِرُ

طلولٌ أبادَ الوجْدُ فيها تجَلُّدي ... ورسمٌ أراني العِزَّ كيفَ يُكابِرُ
وأرضٌ على كُثبانِها قُتِلَ الإبا ... فبالفخْرِ كادَ الرملُ فيها يُجاهِرُ
ديارٌ يمرُّ العُمْرُ فيها كبعضهِ ... وماضي الفتى في الحُبِّ ما عاشَ حاضرُ
وغيريَ من يبكي الطلولَ مُسالِماً ... وإنّي لأبكيها وقلبيَ ثائِرُ
بنفسيَ منْ بانوا فقُلْتُ لأعظُمي ... على حملِ جسمي يا عظامُ تناصروا
ويا عينُ هاتِ الدمعَ لا تبخلِ به ... فإن لم يَجُدْ فالجارياتُ النواظرُ
ويا وقفةً بينَ الحُدوجِ ذكرْتُها ... وقد قِيلَ للتوديعِ يا قومُ باكروا
فقُمْتُ وثغرُ الموتِ يُضْحِكُهُ النوى ... وجاءتْ ووجْهُ البينِ لا دامَ باسرُ
فبلّتْ من العينينِ أردانَها أسىً ... ونُحتُ فظنّ القومُ أنّي شاعرُ
بهم سرنَ من تُدعى النياقُ وإنّها ... لَتُدعى لوشْكِ البين وهي فواقِرُ
وما أنتَ مِنْ بعْدِ الفِراقِ سوى الّذي ... توقّى عَذولاً أو تحاشاهُ عاذِرُ
وأروعُ ما في البينِ أنّكَ جازِعٌ ... وشوقُكَ في ملقى أعاديكَ صابِرُ
وزَيْنٌ طِلابُ الأمن في ما عدا الهوى ... وما الأمْنُ لولا أن تقيهِ المَحاذِرُ
ورُبَّ سفيهٍ خاضَني غيرَ عارِفٍ ... بأنّ الرّدى ليلٌ وإنْ ثَبَّ ماثرُ
بُليتُ بهِ بلوى الخليلِ بعمِّهِ ... فؤادُكَ صِدِّيقٌ وكفُّكَ فاجِرُ
عريضُ القفا ضيفٌ على القبرِ ضيفُهُ ... ولو كان رَحْلاً لَمْ يُطِقْهُ العُذافِرُ
يرى جُرأة المُشتاقِ حُمقاً جنابُهُ ... وأنَّ صريحَ الوجْدِ في الناسِ صاغِرُ
وأنّ البُكا شينٌ على رِفعةِ الفتى ... إذا لم يُدافِعْهُ إلى العلمِ زاجِرُ
يقولُ أطلتَ النوحَ قلتُ وهل على ... وقارِكَ تخشى أم عليَّ تُحاذِرُ

فقال على مَ اللطمُ والدهرُ قد مضى ... فقلتُ على حظّي الّذي أنتَ ناكِرُ
فقال إذاً داري العقولَ فقلتُ لو ... وجدْتُكَ ذا عقْلٍ لكُنْتُ أُبادِرُ
وأكثَرُ حُزني أنّ مثلَكَ مُسْلِمٌ ... رأى الدينَ سِتراً وهو في الكُفرِ عاهِرُ
فدعْ عنْك لومي يا بن عِلمِكَ والحِجا ... فلا أنتَ مكسورٌ ولا أنا جابِرُ
وما العقلُ لولا أن يُضرَّجَ بالهوى ... حُسامٌ ولكن من دمِ المجْدِ طاهِرُ
ولو كُنتَ يومَ الطفِّ حاضرَ ما جرى ... لقُلتَ إذاً بالعقْلِ تُفدى المحاجِرُ
غداةَ عَلَتْ صَدْرَ الحُسينِ خُيولُهم ... فأمسى على ملء الثرى وهو عافرُ
طريحُ ثلاثٍ في العراءِ تخالُهُ ... أُنيلَ من النُعمى يداً فهو شاكِرُ
وخالَ برأسٍ في السِّنانِ كأنّهُ ار ... تقى الكِبْرَ حتى لم يَجِدْ من يُكابرُ
تجمَّلَ بالبيضِ الرِّقاقِ وهذه ... وسومُ الّذي لا تعتريهِ المَعايرُ
وليس الذي أرداهُ بَطْشُ عدوِّهِ ... ولكنّهُ خاضَ الرّدى وهو قادِرُ
وقد كانَ وَزْنُ المرءِ يُعْرَفُ بالحِجا ... فلمّا قضى فالوزْنُ ما الوجدُ آمِرُ
أبو الشُّهداءِ الصِّيْدِ والواحدُ الّذي ... بِهِ جُزْنَ فضْلَ الأصغرينِ المناجِرُ
ومَنْ ألهَمَ الأشياءَ معنىً لموتِها ... فأوْلَدَها الحُسنى ندىً وهي عاقِرُ
وقد عاشَ في الأرواحِ حتّى تماثَلَتْ ... عليهِ جُسُومٌ في الهوى ومَخابِرُ
فلم تَبْرَح الأفواهَ ذِكراهُ منطِقاً ... ولم يمضِ إلّا وهو للدهْرِ خاطِرُ
علاني لهُ في القلبِ دائمُ لوعةٍ ... ودمعٌ على ذكراهُ في الجَفْنِ حاضِرُ
ونَفْسٌ إلى لُقياه شوقاً إذا صَبَتْ ... أمالَ بِها صدرٌ على الضيمِ واغِرُ
ويومٌ من الزهراءِ أبلى جُفونَها ... لعمرُك يومٌ فيه تُبلى السرائرُ

عليه شَبَكْتُ العَشْرَ حُزْناً وقد هوى ... من المُهرِ تفديه الأُلى والأواخِرُ
لهيفَ الحَشا دامي الجبينِ تطلّعَتْ ... لملقاهُ من بينِ الخيامِ الحرائرُ
يجودُ بنفسٍ لا عديلَ لبعضها ... ويسمو لعَزمٍ عن يدِ العزمِ غائرُ
وشاحَ بطرفٍ للخِباءِ ولم يَكُنْ ... يُشيحُ بغيرِ السيفِ حينَ يُساوِرُ
فجاءتْهُ من بينِ الرِّماحِ نساؤهُ ... كما يأتي من بين البُروقِ التَماطُرُ
فعزَّ عليهِ أن تراه مُجدّلاً ... وعزّ عليها أن تراها العساكرُ
فألقتْ على كُلِّ الحُسينِ بكُلِّها ... فمِلْنَ على جسمِ العقيقِ الجواهرُ
فكانَ لهُ إذ ذاكَ والشِّمْرَ موقفٌ ... حريٌّ له أن لا تُصانَ الضمائِرُ
رقى صدرَهُ واجتزَّ بالسيفِ نحْرَهُ ... فشابَتْ من السبعِ الشِّدادِ الضفائرُ!
وأبقاهُ مسلوبَ الثِّيابِ لوجْهِهِ ... عليه الظبى والميد نوحاً تسامروا
فلا كالهوى فاحذر مقارعَةَ الهوى ... فما كُلُّ من خاضَ العَجاجَةَ عامرُ
وقد قرّبوا النِّيبَ المهازيلَ والنِّسا ... سوى الدمع لم يُترك له اليوم ساترُ
ومرّوا بها بين الجسومِ فأوقفتْ ... على النّوحِ أحشاءً بها الركبُ سائرُ
حرائرُ كانت لا تُصاغُ لها ندىً ... سوى من جلودِ النيِّراتِ الأساوِرُ
غدتْ والخشينُ الحبلُ يدمي أكفَّها ... وللؤمِ فاهٌ لا يَعفُّ وناظرُ
وإنّ ارتشافَ الماءِ عارٌ على الفتى ... إذا ظمِئَتْ في ساعديهِ البواتِرُ
وأدهى من البلوى على المرءِ ذِكرُها ... وكلُّ البلا أنْ لا يعيكَ المؤازِرُ
عليٌّ فلا يُرجى سواكَ لِمثْلِها ... إذا عزّ نصْرٌ أو تعذّرَ ناصِرُ
ولسْتَ أخا الهيجا وأنْك في السِّبا ... حيارى تهاداها القُرى والمصائرُ

ومثْلُكَ لا يُقصيهِ عن مجْدِهِ الرّدى وغيرُكَ من تُبلي يديهِ الحَفائِرُ
وإنّكَ من تُدعى لكُلّ بليّةٍ يضِلُّ بها عن مُقلتيهِ المُغاوِرُ
ألستَ من القومِ الألى صدرُ حيِّهم إذا ضاقَ يوماً آنستْهُ المقابِرُ
يرى كُلَّ سعي المرءِ آلاً بقِيْعَةٍ إذا لم تلِدْهُ للفخار الحرائرُ
فلستَ بعُذرٍ أو تثوبَ بجَحْفلٍ جرائرُهُ أن تُستقالَ الجرائِرُ
صوارِمُهُ كالمتّقينَ إذا بَدَتْ وقَسْطَلُهُ بين الخميسينِ كافرُ
حيادرهُ تأتمّ منكَ بحيدرٍ تلوذ بهِ يوم الطّعانِ الحيادرُ
يموجُ لواءُ الحمدِ بين صِعادِهِ ومن تحتهِ لُجٌّ من البيضِ زاخِرُ
تقدُّ به صدر الفلاةِ مُجَلجِلاً وغمدُكَ مكسورٌ ورأسُكَ حاسِرُ
على ضامرٍ عيناه عينانِ في الِّلقا ورجلاه زهواً واليدانِ ضرائرُ
تغادي به وادي الطفوف بغارةٍ ثراكَ بها قبل اللحاظِ المرائرُ
بعثيرها يكبو الضحى ولهولها تهاجي أسودَ الغيلِ فيها الجآذرُ
لسيفكَ فيها موقفٌ من أميّةٍ بهِ فَرَقاً تجفو الحشيمَ المآزِرُ
تقومَ مقامَ الصُّبحِ فيهِ قشاعِمٌ وفيه عن الرمضا تنوبُ القساوِرُ
تقاضي به هنداً وآل سميَّةٍ وحُكم القنا عَدلٌ وإن قيلَ جائرُ
فكم لك في أفواهها من دمٍ زكا وكم في يديها من حشاكَ أظافرُ
وكم موتةٍ من غدرها نلتَ صابراً يشحُّ لها عند الكريمِ التصابرُ
وإن أُباة الضيمِ عنه إذا وَنَتْ أضرّ بها يوم العتاب التعاذرُ

أبيتَ على الذُلّ إلّا انتصارا

(المتقارب)

أبيتَ على الذُلِّ إلّا انتصارا ... وآليتَ في العزِّ أن لا تُجارى
وباريتَ مجدَ أبي طالبٍ ... فكُنتَ أباكَ الّذي لا يُبارى
بجدّكَ قِدْماً أُجيرَ النبيّ ... وبعدُ بسيفِ أبيكَ استجارا
وأنتَ على النهجِ حتّى غدوت ... لسبطِ النبوّةِ أهلاً وداراً
إيهاً أبا الفضلِ والمَكْرُمات ... بكفّيكَ أو فلْيَدَعْنَ الفَخارا
ولا قَدْرَ بَعْدَكَ للصالحين ... إن لمْ تكُن في هُداهم شعارا
بكَ الدينُ أدركَ آمالَهُ ... ولولاكَ لم تعْتنقْهُ الغيارى
فنُفْتَ على عامرٍ يا ابنهُ ... وكثّرتَ يومَ التعالي نزارا
أبا الفضلِ والطَفَّ تحكي الكليمَ ... صبيحةَ قد آنسَتْ مِنْكَ نارا
وجاءتْ إليكَ ولا جذوةً ... ولكنْ إلى الحشرِ عادَتْ نَهارا
لها قد تجلّيتَ بين الرماحِ ... بسرِّ أبيكَ فأضحى جهارا
يُمانعُكَ القومُ وِرْدَ الفُرات ... وما زادهم ذاك إلا تَبارا
وفرّوا وهم بين أيدي المنون ... أو فوق ظهر السلامةِ عارا
ولم يكُ همُّكَ إلّا السِّقاءَ ... فكيفَ إذا كنتَ تطلبُ ثارا؟

المرءُ بالسيفِ يوم الذلّ ينتصرُ

(البسيط)

المَرءُ بالسَّيفِ يَومَ الذُلِّ يَنتَصِرُ ... وراغِبُ المَجدِ ثَوبَ النَّقعِ يَأْتَزِرُ

ولا تُنالُ العُلا إلا بِمُرهَفةٍ ... عن شَفرَتَيها قَوامُ الضَّيمِ يَنكَسِرُ

فَأْخُذ أبا صالِحٍ عَنْ قَلْبِ مُستَعِرٍ ... قَولاً تَكادُ لَهُ الأَسماعُ تَسْتَعِرُ

هذا المُحَرَّمُ قد وافاكَ مُنْتَدِباً ... يدعو فما لَكَ يا مَوْلايَ تَعتَذِرُ

يَدْعوكَ يا ثارَهُ فانْهَضْ بِرايَتِهِ ... إذ لم يَجِدْ غَيرَكُم لِلثَّأرِ مُنتَصِرُ

هذا الحُسَينُ وقد جَدَّ المَسيرُ بِهِ ... بِمَركَبٍ يَعتَليهِ الصَّوْنُ والخَفَرُ

تُحيطُهُ مِن ذُرى الآسادِ كَوْكَبَةٌ ... مِنْ بَأْسِها غُرَّةُ الجَوزاءِ تَنكَدِرُ

مُعَلِّمونَ الوَغى أسيافُهُم بَرَقَتْ ... ساروا وأَضحَت مناياهُم لها صِوَرُ

حتى إذا أطنَبوا في كربلا عَلِمَتْ ... أعداؤُهم أنَّهُم بالمَوتِ قد حَضَروا

هناك سَعَّرَتِ الهَيجاءُ بادِرةً ... فسَعَّرَ القَومُ في المَيدانِ ما بَدَروا

أُسدٌ أغاروا بِأسيافِ الرَّدى فَلَهُم ... أُنسٌ لِرَنَّتِها عن غَيرِها وَقِرُ

كلٌّ ترى حاسِراً بالمَوتِ مُدَّرِعاً ... مِن دونِ مَقدَمِهِ البَيداءُ تَنفَطِرُ

هناك يَومٌ يُريحُ المَوتُ صاحِبَهُ ... إذ لا تَقيهِ سِوى الأكفانُ والحُفَرُ

حتى إذا أَوفَوا العَلْياءَ ما رَغِبَت ... مِنْهُم ترى أنجُماً في الرَّملِ تَعتَفِرُ

كلا إذا وَقَعَتْ في الطَّفِّ واقِعَةٌ ... فالأرضُ راجِفةٌ والطَّودُ مُنتَثِرُ

هناك أجهَضَتِ البَوْغاءُ ما حَمَلَتْ ... عَن صَيحَةٍ بُرِّزَتْ مِن أجلِها سَقَرُ
عباسُ هذا إذا ما كَرَّ مُغتَضِباً ... يَحيضُ عَن وَجَلٍ من صَوتِهِ الذَّكَرُ
يَسطوا على أدْهَمٍ كالطَّودِ حافِرُهُ ... ذو مِرَّةٍ في يَدَيهِ يَربِضُ القَدَرُ
لم يَقتَحِم غازِياً إلا تَقَدَّمَهُ ... جيشٌ مِنَ الرُّعبِ في الأحشاءِ يَنتَشِرُ
لَيثُ العَرينِ الَّذي أطرافُهُ غُسِلَتْ ... بالدَّم إذْ حارِساهُ الرُّعبُ والخَطَرُ
يَكِرُّ عَن مَبسَمٍ كاللَّيثِ مُبتَسِمٍ ... عَن لَفظِ مُقْلَتِهِ الأقرانُ تَنقَهِرُ
يَهوي عَلَيهِم بِصِلٍّ كالظَّلامِ له ... حَدٌّ مِنَ الفَجرِ في الهاماتِ يَنْزَجِرُ
لَهُ ذُبالٌ فُؤادُ المَوتِ غارِبُهُ ... على نَجائِدِهِ الآجالُ تَنْتَظِرُ
وطاعِنٌ تُتَّقى بالمَوْتِ طَعْنَتُهُ ... وغامِرٌ في الوَغى في اللهِ مُنغَمِرُ
لِسانُ صارِمِهِ آيَ العَذابِ تَلا ... وَعظاً لِمَن كانَ في البَأساءِ يَدَّكِرُ
وكَيفَ لا يَطْحَنُ الفُرسانَ صارِمُهُ ... وزينبٌ خَرَجَتْ بالثَّوبِ تَعتَثِرُ
تَدعوهُ يا كافِلي رَوِّ السِّقاءَ لنا ... فإنَّ أطفالَكُم لِلْمَوتِ تَحْتَضِرُ
فقالَ يا زينبٌ تَشكونَ مِن ظَمَأٍ ... وطَوعُ سَيفي عُيونُ الماءِ تَنفَجِرُ
واللهِ لو سَدَّ ذو القَرنَينِ شاطِئَها ... والوَحْشُ مِنْ بَعدِهِ والجِنُّ والبَشَرُ
وساقَ عِزريلُ ظَعْنَ المَوتِ يَتْبَعُهُ ... جَيشٌ لِشَدّادَ دون الماءِ قد أُمِروا
لَأحمِلَنَّ عَلَيهِم غَيْرَ مُكتَرِثٍ ... وأفرَعَنَّ بِهِم حتى وإنْ كَثُروا
وأُنزِلُ البأسَ فيهم بَأْسَ مُقتَدِرٍ ... حتى يَظُنَّ المَلا بأنَّهُم حُشِروا
وأُشبِعَنَّ القنا طَعْناً بِوارِدِهِم ... وأسقِيَنَّ الظُّبى فَتكاً إذا صَدَروا
وأُسمِعَنَّ صَليلَ السَّيفِ واقِرَهُم ... حتى إذا صارَ مَن في الشّامِ يَحتَضِرُ

يا زَينبٌ إنَّني شِبلُ الذي ذُعِرَت ... مِنْ حَدِّ صارِمِهِ الأَيامُ والعُصُرُ

لأجلِبَنَّ فُراتَ الماءِ عِندَكُم ... أو أجعَلَنَّ فُراتَ الدَّمِّ يَنهَمِرُ

هذا أبا صالِحٍ عَن عَمِّكُم خَبَرٌ ... إذْ أنتَ تَعلمُ حقاً ما هُوَ الخَبَرُ

فَلَستُ أرثيهِ في حُزنِ القَصيدِ وهَلْ ... يُرثى بحالِ الَّذي أفعالُهُ الدُّرَرُ

فالقَتلُ عادَتُكُم والله أكرَمَكُم ... شهادةً في سنا الأمجادِ تَزْدَهِرُ

لكِنَّهُ سَيِّدي هل أنَّ عادَتَكُم ... تُسبى نِساؤُكُم بالكَفِّ تَسْتَتِرُ

يَسوقُ ناقَتها العَجفاءَ ضارِبُها ... وذاكَ شاتِمُها مِن حالِها سَخِروا

أهَل رَضيتُم لها شمرٌ يُعَنِّفُها ... وهل قَبِلْتُم بِسَوطِ الزَّجرِ تَنْزَجِرُ

لم أنسَ لا زينباً وهيَ الوَقورُ مَشَت ... بينَ العِدا والعِدا لِشَخْصِها نَظَروا

تَدعو لُيوثَ الوغى وهم بِمَصرَعِهم ... هذا على وجهِهِ وذاك مُعتَفِرُ

وذاك مِن دونِ رأسٍ غُسْلُهُ دَمُهُ ... وذاك مِن دونِ كَفٍّ رأسَهُ فَطَروا

يا صاحِبَ الأمرِ عُذراً فالحَدِيثُ جَوىً ... ولا تَلُمني إذا ما مَنطِقي وَعِرُ

مُصابُكُم قَد بَكَت كُلُّ العُيونِ له ... وكلُّ قَلبٍ له بالهَمِّ يَعتَصِرُ

فَحَقَّ أن نَرْتَدي سودَ الثِّيابِ له ... وحَقَّ أن يَرتَوي مِن دَمعِنا الحَجَرُ

إلى متى الصَّبرُ يا مَولايَ في عَجَلٍ ... أقدِم فقد مَسَّنا في بُعدِكَ الضَّررُ

إلى متى الصَّبرُ والإسلامُ مُغتَصَبٌ ... وصارَ يَحكُمُهُ الكَذّابُ والأَشِرُ

مَوْلايَ أعلَمُ أنَّ الذَّنبَ ساتِرُنا ... عَنكُم فَجِئنا بِكُم للهِ نَعتَذِرُ

فاغفر لنا يا رجانا ذَنبَنا فَبِكُم ... الفَضلُ والجودُ والإحسانُ يَنحَصِرُ

بِحَقِّ مَن أسقَطوا في البابِ مُحسِنها ... بِحَقِّ مَن ضِلعَها ظُلماً لها كَسَروا

عُذراً أبا صالِحٍ أسرَفتُ مجتهِداً مَقولةً يَحتويها السَّمعُ والبَصرُ
ولَعنَةُ اللهِ دَوماً في الزَّمانِ على مَن أجحدوا حقَّ آلِ البَيْتِ أو نَكروا
صلى الإله عَلَيكُم سيدي أبداً ما لاح نَجمُ السُّهى أو أشرقَ القَمَرُ

أجريت قلبي وأجرى غيري العمشا

(البسيط)

أجريتُ قلبيْ وأجْرى غيريَ العَمَشا ... سُقماً شكا وشَكوتُ السُّقْمَ والعَطَشا

شتّانَ بينَ فؤادٍ حَشْوهُ وَلَهٌ ... وبينَ جِلْدٍ حشاهُ اللّهوُ حينَ حشا

كالنّقْشِ في الصخرِ هاتِ الحُبَّ حيثُ غدا ... ودَعْ مِنَ الحُبِّ ما فِي الماءِ قَدْ نُقِشا

واحْذَرْ مِنَ القَزِّ ثَوْباً إنْ حَوى جَسِداً ... عِهْنَ الطِّباعِ إذا مخّضْتَهُ انْتَفَشا

مَا ضَرّ هذا الورى لَو أنّهمْ عَلِموا ... أنّ الحِمارَ إذا عَظّمْتَهُ جَحُشا

ولَيْتَهُم فَهِموا أنّ السفاهةَ مِنْ ... عَوْنِ الحليمِ إذا ما خَصْمُهُ فَحُشا

يقولُ أهْوى بني الزّهْرا سمَاحَتُهُ ... وهُمْ ملاذي إذا الخَطْبُ الجَلِيْلُ غشا

ويدّعي وصْلَهُمْ دامَتْ سلامَتُهُ ... وهْوَ الّذي قامَ في أعدائهم وَمشَى

أَلِلْحشا في هَوى الخصْمَيْنِ مَعْذِرَةٌ؟ ... بلى إذا كانَ كَرْشاً ذا وليسَ حشا!

وما الهَوى حيثُ يُرْضيكَ الهَوى سِمَةٌ ... لكنَّ صِدْقَ الهوى في المرءِ إنْ حُمِشا

يا زائِفَ الوِدِّ لِي مِنْ سِحْنَتِي قِدَمٌ ... عَهِدْتَها مُذْ حَكَتْ أزْياؤُكَ الحَنَشا

مَا بدّلَتْ دِيْنيَ الدُنْيا وَقَدْ خَبِرَتْ ... أنّي الّذي شابَ فيما قَبْلُ فيهِ نَشا

أنا الوفا جِئْتُهُ والشّمْسُ ضاحيَةٌ ... وَقَدْ أَتَيْتَ الوفا لَكنْ أَتَيْتَ عِشا!

ما نِيْلَ بالخَتْلِ يَوْماً وِدُّ فاجِرَةٍ ... أنّى بودِّ كَريمٍ نلْتَهُ بِرُشا؟

ومَا كَرِهْتُ الغِنا إلّا لِمَبْكَمَةٍ ... عَنِ الإبا فِيْهِ مِنْ جَرّاكَ أوْ طَرَشا

فاسْلَمْ عَلَيَّ مَلامُ النّاس وامضِ على ... دِينِ المُلوكِ وأسْلِمْ فُزْتَ كَيفَ تَشا
أو سلْ تُجَبْ عَنْ طلولٍ قَدْ وَقَفْتُ بِها ... هيَ العَجوزُ ولكنّي الّذي ارتَعَشا
مَرْعى الهوى قَدْ حَكَتْ نفسي عواقِبَها ... ومَعْهَدِ النَفَرِ الأُلّافِ فانْتُهِشا
شَمَمْتُ رِيْحَ الصِّبا مِنْها فقُلْتُ بلى ... ما زِلْتُ صَبّاً ولكنّ الفراقَ وَشا
كانتْ تَنافَسُ حُسّادي عَلَيّ بِها ... فَصِرْتُ أغبِطُ فيها البُومَ والحُرُشا
أيّام أُدعى فتاها غير مفتخِرٍ ... أنا الّذي مَنْ بِتَرْك الفَخرِ وَيْكَ نشا
كَمْ لي بِها مَعْ فتاةِ الحَيِّ مِنْ هَزَلٍ ... مِنْ بَعْدِهِ القَلْبُ فِي جِدِّ الغَرامِ عَشا
خَوْدٌ ربِيْعِيَّةُ الإعْمامِ هِمتُ بِها ... أخوالُها الفُرْسُ ثُمّ ادعُ الوَرى حَبَشا
لَمْ أدْرِ مِنْ قَبْلِها أنّ الأُسُودَ إذا ... ادّعَتْ زَعِيْماً عَليها لقّبتّهُ رَشا
مِنْ حُسْنِها بالرّضا السُلطانِ عُذْتُ ولو ... أطَعْتُها متُّ في بَحْرِ الهوى عَطَشا
أبو الجوادِ جَميعُ الحُسْنِ مَنْ أنِسَتْ ... بِهِ النّفوسُ وسِرُّ اللهِ حِينَ فشا
ما نابَنِي الضَّيْمُ إلّا زرتُ مَرْقَدَهُ ... يا ليتَني منه بالجُدرانِ ما نُقِشا
قَبْرٌ بطوسٍ يَقولُ المُسْتَجيرُ بِهِ ... هذا الأمانُ الّذي في النّاسِ قَدْ بَطَشا
هذا الّذي قَدْ عَذَرْتُ القائلينَ بِهِ ... بِهِ تعالى وحاشا الله قد دُهِشا
ذا بِضْعَةُ المُصطفى نَفْسي الفِداءُ لَهُ ... والبَعْضُ يحْوي صِفاتِ الكُلِّ حيثُ نشا
وهو الهُدى كُلُّهُ كالمرتضى أبَداً ... فمن عَداهُ ولو قِيلَ الصباح عشى
هذا ابنُ موسى عليٌّ مَنْ يُفاخِرُهُ ... أنّى ولولاه عَرْشُ اللهِ ما عُرِشا
أمْ كَيفَ يخفى ومَنْ يخفى فَمَنْ أَلِفَتْ ... أعضاؤُهُ السُّقْمَ ظنَّ السُّقْمَ لَوْ نُعِشا
والنفسُ حاسِدَةٌ مَنْ لَيْسَ تَفْضُلُهُ ... ورُبّما شَبّهَتْ بالحِنْكَةِ الطَّيَشا

شَمْسُ الشُموسِ الّذي كادَتْ صَباحَتُهُ ... أنْ تَتْرُكَ اللّيلَ في جِلْدِ السّما نَمَشا

ذو قُدْرَةٍ لو وحاشا أمْسَكَتْ يَدُهُ ... مِنْ لَيْلَةِ القَدرِ ذاك اللّيلُ ما غطَشا

وذو جلالٍ إذا طاشَ الزّمانُ، وذو ... أصلٍ وإن رَضْرَضَتْهُ الخيلُ ما خُدِشا

بِحُبِّهِ عِشْتُ ما بَيْنَ الورى مَلِكاً ... بيَ الهُدى والنّدى مِنْ جُودِهِ احْتَوَشا

أُخشى وما رُمتُ ذا لكنْ عذرتَ فتىً ... رأى عليكَ لِبادَ الأُسْدِ ثُمّ خشى

هذا ثراهُ فلا تَدريْ وزائرُهُ ... مَنْ مِنْهُما القَبْرُ إنْ جاشا وإنْ جَهُشا

ذا أجْهَشتْ مِنْ حَيَاً أركانُهُ وندىً ... وذاكَ مِنْ فُجأةِ الإكرامِ قَدْ جأشا

وَلَيْسَ يَجْمُلُ بالفَحْشاءِ طَبعُ فتىً ... إلّا السخاءَ جَميلٌ أينما فَحُشا

قَبرٌ وفيهِ الرّضا قَدْ كادَ مِنْ جَذَلٍ ... لولا مَهابَتُهُ للزائريهِ مشى

تَكادُ تَقْدَحُ مِنْ جَنْبيهِ نَجْدَتُهُ ... فالعَينُ تُحْسَبُهُ بالتِّبرِ قد رُقِشا

مِنْ حولِهِ زائروهُ وهْوَ بَيْنَهُمُ ... هِيْمٌ على عَينِ ماءٍ تَقْتُلُ العَطَشا

عافى وأغنى وكَمْ أرضى حشاً ونُهىً ... وكَمْ أخا كُرْبَةٍ مِنْ كُربَةٍ نَعَشا

وَكَمْ إلى مُذنِبٍ مُدَّتْ شَفاعَتُهُ ... بَعْدَ الإياسِ وكَمْ رُزءٍ بِهِ انْكَمَشا

وَكَمْ على شَمْلِ قَوْمٍ شتّ عادَ وقَدْ ... باتوا كنَفْضِ الرّحا مِنْ بَعْدِ ما جُرِشا

لا تَطْعَمُ النارُ مِنْ زُوّارِهِ أحَداً ... ولَيْسَ يُرهِبُها مَوتٌ وإنْ دَغَشا

ولَيْسَ يُشجيكَ إلّا ذِكْرُ مَقْتَلِهِ ... وقَبْرُ قاتِلِهِ لليوم ما نُبِشا

واهٍ على أمِّه الزهراء تَرْقبُهُ ... عشيّةَ السُّمُّ أضحى مِنْ حَشاهُ حشى

عُدمُ النصيرِ فهلّا مِنْ مولولَةٍ ... عليهِ مِنْ هاشِمٍ والخدُّ قَدْ خُمِشا

يُقيْمُهُ السُّمّ وا هَفْي ويُقْعِدُهُ ... وللتُّرابِ مُحيّاهُ إذا افتَرِشا

لهُ نكأتُ الحشا لو ثَمَّ باقيةٌ لكنّني الكلُّ بعدَ الطفِّ قَدْ نُهِشا
اللهُ يا مَنْ هوى مِنْ سَرْجِهِ ظَمِياً والقوم إذ ذاكَ لا روماً ولا حَبَشا
هَبْ لم يَروهُ ابن طه، هل ترى جَهِلوا أنّ ابنَ هِندٍ بُحكْمِ اللهِ قَدْ فَحَشا
بلى لبُغضِ أبيهِ قاتَلوهُ وذا عمى الجدود غدا في نَسْلِهم طَرَشا
أفشوا بجُثمانِهِ الميمون كُلَّ ردىً كالنَّهْبِ في رحْلِهِ المأمون حينَ فَشا
وسيّروا أهلَهُ مِنْ بَعدِ مَقْتَلِهِ حسرى عدا الّليلِ لا سِتراً ولا فُرُشا
تُبْدي نُقوشَ الحصى مِنْها الخدودُ كما أبْدَتْ معاصِمُها في القيدِ ما نُقِشا
خوارجاً صيّروهم في البلادِ وهُم صلّى الإلهُ عليهم غُدوةً وعِشا
طِبْ يا زمانُ على الأنذالِ بَعْدَهُمُ وارحلْ بأهْلِكَ لا وُفِّقْتَ حيثُ تشا
ودَعْ بُطونَ الضواري للأُباة فما حُرٌّ لِيَرْضى بهذي الأرض مُعْتَرَشا
إنّ الّلحاظَ مضاميرُ القلوبِ لذا أجريتُ قلبي وأجرى غيريَ العَمَشا

قاتلتُ نفسي في هواك فلم أدع

(الكامل)

قاتلتُ نفسي في هواكَ فلمْ أدَعْ ... للنّفسِ من لذّاتها إلا الجَزَعْ

أخبرتُ مَنْ قالوا بأنّي شاعرٌ ... إنّ الهوى لو حلَّ في الصخرِ انصدَعْ

إنَّ الهوى لو حلَّ في بحْرٍ سجا ... وأنا مشيجٌ من تُرابٍ مُصطنعْ

ما أنطقتني في الهوى ليلى ولا ... خمريّةً الوجَنَاتِ شيمتها الدَّلَعْ

لكنّهُ ريحانةُ الهادي الذي ... أنا كنتُ نثراً في هواهُ فاجتمعْ

لله وجهٌ في الظلامِ مشعشعٌ ... والبدرُ يحلو في الظلامِ إذا طلعْ

جلّ الإله بخلقه ماذا برى ... فكأنّ طه في محاسنِهِ اضطجعْ

نورٌ تبلّج كالصباحِ ونُطقُهُ ... بمزيجِ طه والوصيّ إذا اندلعْ

والليلُ سرّحَ في صفاتِكَ غَيْهباً ... حتى تلجلجَ في مديحِكَ وانقطَعْ

فلذا تنادى الناظرونَ لحُسنه: ... جلَّ الصنيع وجلَّ ربّي ما صنعْ!

والعقلُ أنتَ العقلُ لو كان امرءاً ... والعقلُ خير بني التُّرابِ إذا ابتدعْ

والفضلُ أنتَ الفضلُ فيكَ نهايةٌ ... والعزُّ بعدك أنفُهُ قيلَ انجدعْ

أفديكَ مبسوطَ اليدينِ فماطرٌ ... غيثُ السماء وطبعُهُ عنك انطبعْ

إنْ قلتُ كالبحر اللُّهامِ فإنّما ... سبعُ البحارِ من المكارمِ قد صنعْ

أو قلتُ ذا نُسُكٍ فهل ترَ مثلَهُ ... متنسّكاً في الدهرِ للهِ انقطَعْ

قد ذلّتْ العَليا إليهِ فاعتلى ومراتبُ العليا بجهدٍ تُنتزعْ
والفخرُ إن قيل الفخار فبعدهُ المجد يسجدُ والإباءُ لهُ رَكَعْ
قد سابقَ الإحسان في إحسانه والجود طفلٌ من أناملِهِ ارتضعْ
لا غروَ فيه من الحسانِ أتمُّها اللهُ قِدماً في أوائله جمعْ
أصل النبوّة والإمامة أصله والبذرُ يحكي أصلَه حيثُ انزرعْ
هو نجلُ قالع باب خيبرَ من دعا بصفاته بابُ السماء له انقلعْ
وهو ابنُ فاطمةَ البتولِ ورَبُّها شَرْعَ الوجودِ على محبّتها شرعْ
أو أرتعي للقول من حُسّاده وفم الحسود عن الوشاية ما امتنعْ
قالوا خشى خوض القتال إمامُهُم وبصلحه لبني أميّة قد خنعْ
أوَ ما رأوا صفّينَ في لهواتها ونِصالُ سيفك في مناحرهم هزعْ
أيحبّنوك وأنت في غمراتها للموت أطلقت العنان فما رجعْ
فإذا تحطّمت النصال وأوشكت زُمَرُ الكُماة على مسابقة الفزعْ
وتراقصت بين الجماجم في الوغى روسُ الذوابلِ والدماء لها تَبَعْ
وانشقّت البطحاءُ تَبْلَعُ شوسها والرّعبُ دعدعَ في القلوب فلم يدعْ
حيث الصباحُ من العَجاجة مظلمٌ ودجى العجاج من الأسنّة ما طلعْ
قوموا إلى الأجداث جاء وعيدُكم مُذ أدركوك فكنت هولَ المطّلعْ
هذا ابن حيدرةٍ وسِنخُ محمّد والنّصلُ من نسل الحسام إذا فرعْ
والأمر فيه مسلّم، وبحكمه رفعَ القنا للحرب أو عنها وضعْ
في مهبط الوحي المقدّس قد نما والذكر دوماً في تلاوته خشعْ

من منبع التنزيل منهل علمه وبجوهر الإيمان منهجه نصعْ
وبمهجة الإخلاص ينضح قلبُهُ وبخشية الرحمن شيمته الورعْ
فلكلّ جُرحٍ في الفؤاد شفاؤه ولكلّ ضيق في الحشاشة مُتّسعْ
ومدارك الكلمات فيه حكايةٌ كفّ الزمان بنسجها حاكَ السجعْ
يا مُهجة الهادي فتلك قصائدي من بحر جودك ثغرها لمّا كرعْ
قالت: يؤرّقني هواك فلم أدع للنفس من لذّاتها إلا الهلعْ
صلّى الإله على الزكيّ المجتبى ما لاح نجم في السماء وما لمعْ

الذكرُ فيك بليغ المدح قد صدعا

(البسيط)

الذكرُ فيكَ بليغَ المدحِ قد صَدَعا ... وأبلغُ القولِ ما قد قلّ وانتجعا

فما لمثلِكَ إلّا الله ممتدحٌ ... وخالقُ الخَلقِ أدرى بالّذي صنعا

قد ألّهوكَ أُناسٌ دونَ معرفةٍ ... فكيفَ لو عرفوا ما فيكَ قد وُدِعا

ونابذوكَ أُناسٌ بعدَ ما عرفوا ... بأنّ بدرَ الدُجى لولاكَ ما طَلَعا

"أنتَ العليّ الّذي فوق العُلى رُفعا ... ببطن مكّة وسط البيت إذ وضعا"

صباحُ النصر في الآفاق رفّا[1]

(الوافر)

صَباحُ النَّصْرِ في الآفاقِ رَفّا ... ووَعْدُ المَجْدِ صادَقَني فَوَفّى
وإنّي قَدْ أَبَيْتُ العَيْشَ ذُلاً ... بِيَوْمٍ فيهِ ماءُ الوَجْهِ جَفّا
ومَنْ رَضِيَ الهَوانَ بَنَتْ عَلَيهِ ... قلاع الذُّلِّ في الأيامِ كَهفا
فَهاتِ الكَأسَ واملأها إباءً ... وأرْشِفْني مَذاقَ العِزِّ رَشفا
وألْبِسني ثِيابَ الفَخرِ سوداً ... وأرسِلْني إلى المَيدانِ زَحفا
فإنّا مَعْشَرٌ دَمُنا مُباحٌ ... إذا مَدَّت لنا العَلياء كَفا
لِوَجهِ اللهِ نُثكِلُ كُلَّ أُمٍّ ... ونسقي عِزَّنا الأبناءَ صِرْفا
نُقاوِمُ كلَّ كَفارٍ زَنيمٍ ... ونَنْسِفُهُ بِقاعِ المَوتِ نَسفا
ونَبني في السَّماءِ لنا بُيوتاً ... إذا ضاقَتْ عَلَينا الأرضُ صَرفا
لنا يومُ الكِفاحِ بكُلِّ فَردٍ ... شُجاعٍ لو يُعَدُّ لكان أَلْفا
تراهُ يُبدِئُ الأعداءَ عَصفاً ... ويَترُكُهُم على الرَّمضاءِ عَصفا
يَضِجُّ مُروءةً ويَلينُ حَزماً ... ويَضحَكُ غاضِباً ويَعيشُ حَتفا
جريءٌ باسِلٌ بَطَلٌ شَهيدٌ ... أبيٌّ لا يَعي في البأسِ خَوفا
كذلكَ فلتَلِد أمي رِجالاً ... وإلا عِشتُ بَينَ النّاسِ ضَيفا

(١) كُتبت خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ٢٠٠٦م.

بِلادي يا نَشيدَ الروحِ مني ويا لحنَ الهوى في القَلبِ عَزفا
ويا دَمعي إذا رَفْرَقْتُ دَمعي على وَجَناتِكِ الحَمراءِ نَزْفا

دعوت حمى الأحباب يا موطن الإلفِ

(الطويل)

دَعَوتُ حِمى الأَحْبابِ يا مَوْطِنَ الإلْفِ ... ويا غُرَّةَ الأمجادِ شامِخَةَ الأنفِ

ويا مَشرِقَ الأقمارِ ما انفكَّ زاهِراً ... بِلَيلَتِكَ الأقدارُ باسِمَةُ الطَّرف

قَضَيْنا رَبيعَ العُمرِ فيكَ وإنَّما الـ ... حياةُ بِبَعضِ العُمرِ جُزءٌ مِنَ الحَتفِ

وكنا كسِمطِ اللَّيلِ نَطوي حَديثَنا ... قَرائنَ أشواقِ الجَميلِ مِنَ العَطفِ

إلى أنْ أدارَ الدَّهرُ كَفَّ صُروفِهِ ... ولَيْتَ يَدَ الأيامِ مَجذوذةَ الكفِّ

فأضحى شَتاتاً جمعُنا وتألَّبت ... علينا غِلاظُ الدَّهرِ مَشحوذَةَ الصَّرْفِ

فصِرْتُ أُسَلي النَّفسَ في ذِكرِ ما مضى ... وأُطفي لَهيبَ الشَّوقِ في لُجَّةِ النَّزفِ

وأرثي تُراثَ العاشِقينَ كما غَدَت ... مَراثي بَني الزَّهراءِ في واجِبِ العُرفِ

بَكيتُ قُبوراً في البَقيعِ لعُصبَةٍ ... بهم تَمَّ دينُ اللهِ في مُحكَمِ الصُّحفِ

وهَدَّ جلادي دارِسُ الرَّبعِ مِنهُمُ ... تَمُرُّ به الأحزانُ من بعدِ ما عُفّي

قُبورٌ جَبينُ الشَّمسِ دونَ تُرابِها ... وخَيْطُ جميلِ الصُّبحِ في رَملِها يَسفي

لَكَ اللهُ يا حُكمَ الزَّمانِ لحادِثٍ ... تَعَرّاكَ في شوال عن خِطَّةِ الخَسفِ

لِفَتوى يهودِ الدينِ لما تَحالَفوا ... على فِعلَةِ الشَّيطانِ في ذلِكَ الحِلفِ

فَراموا قِباباً في البَقيعِ فهدَّموا ... وحادوا بذاك الفِعلِ عن دانِي القطفِ

وظنوا بأن يُمحى بذلك ذِكرُ من ... غدت عن لِسانِ المدحِ أفعالُهُم تَكفي

ألا قُلْ لِمَن أفتى بِهَدمِ قُبورِهم ... تَوَطَّنت عن فَتواكَ مُنهارَةَ الجُرفِ

فقد جِئتَ إدَّ الفِعلِ عن شَرِّ قَبضَةٍ ... تَجيءُ بيَومِ الفصلِ مَشلولةَ الكَتفِ
فدع عنك ضُرَّ القَوْمِ إنَّ قبورَهم ... لها في ذراري العرشِ عاليَةُ السَّقفِ
لهم في رِياض القُدسِ خيرُ مَنازِلٍ ... لدى أكؤسِ الوِلدانِ مَعسولةَ الرَّشفِ
وحاذِر لهم في الدَّهرِ كَرَّةَ قائمٍ ... لأخذِ تِراتِ الآلِ إذ جاءَ يَستَشفي
غداة يُعيدُ الحقَّ في كفِّ أهلِهِ ... كما منه كانت قبلُ مُصفَرَّةَ الكفِّ
هنالك يومُ الفتحِ ما شِئتَ فادَّرِع ... ويُعرَفُ بَأسُ الطَّودِ في شِدَّةِ العصفِ
ألا إنَّهُم رَغمَ الأُنوفِ على المَدى ... سلاطين خَلقِ اللهِ في باذِخِ الوصفِ
وهُم نِقمَةُ الجبارِ ذو البطشِ والعُلا ... وهم رَحمةُ الرَّحمنِ ذو البرِّ والعطفِ
هم الغَوثُ والرُكنُ المَنيعُ جِوارُهم ... وهم رايةُ الآجالِ في أُهبةِ الزَّحفِ
أحِبايَ خيرُ الناسِ بل سادةُ الوَرى ... مَلاذي لدى الإعسارِ بل إنَّهُم كَهفي
خُذوها بَني الزهراءِ عن نفسِ رامِقٍ ... تجود بها الأنفاسُ مرموقَةَ الحرفِ
تَؤُمُّ دِيارَ الخيرِ خيرُ نَجائِبٍ ... إلى دارِ من أهواه في عَرصَةِ الطَّفِ
لدارٍ تُفدّى بالنَّفيس بأنفُسٍ ... لها من شَقيقِ الشَّوقِ دائمةَ الإلفِ
فهاك حسينَ الشَّوقِ صَفوَ قَصيدةٍ ... إليك دوامَ العُمرِ أشواقها تُصفي
إليك من القِنِّ الفَقيرِ هديَّةً ... تقبَّل أبا السَّجاد من ليس بالجِلفِ
ولستُ بمَدّاحٍ صَنيعَ سِواكم ... وكُلُّ صَنيعِ الدَّهرِ عن فَضلِكُم يقفي
وسيان كلبُ الصَّيدِ والليثُ إن أتى ... عليهم نوالُ السُّحبِ فالكلُّ يستحفِ
عليكم سلامُ اللهِ ما دام ذِكرُكُم ... وما دام ذِكرُ اللهِ في سورةِ الصَّفِ

أودى بك الصبر إلّا الوجدَ والأرقا

(البسيط)

أودى بكَ الصبرُ إلا الوجدَ والأرَقَا ... وابتزَّ منكَ النوى غيرَ الذي سَرَقا

وجَفنُكَ الرائدُ الكذّابُ مهجتَه ... إذا على غيرِ ماءِ الحسرةِ انطبَقَا

تُرجى وبين القِلى والوصلِ قد عَطَفتْ ... رقابَها القومُ حِقداً فيكَ أو مَلَقا

ورُبّما جمَّ من يهواكَ مبتعداً ... والآلُ أخيبُ مأتيٍّ إذا صدَقَا

لا أنتَ تقسو، ولا ليتَ الورى فَهِمتْ ... بأنَّ تركَ الشقا في أن تعيكَ شقا

وليس يُردي الفتى طولُ العِداء لهُ ... لكنْ إذا الودُّ في أحبابَهَ نَفَقا

يا تاركَ البينِ في ألفاظ عاشِقِهِ ... أحلى من الوصلِ في أحشاءِ من عشِقا

ما عشتُ بعدَكَ إلّا طرْفَ أُمْنِيَةٍ ... ترى اجتهادَ التمنّي في لقاك لقا

ألَمّ بي ذكرُكَ العاتي فبدّدني ... وانتابَ دمعي هواكَ الفخْمُ فاعتنقا

وصمْتُكَ المتّقى لا طالَ أنطقني ... والعودُ يذكو إذا يا نارَه حُرِقا

جفّتْ عروقُ التأنّي بَعْدَ بُعْدِكَ وال ... تِّحنانُ ملَّ جوارَ الحِلمِ فافترقا

والعيشُ بعدَك لا موتٌ فأطلُبُه ... ولا هو العيشُ حتّى أدّعيهِ بقا

كأنّني فيك رملُ التلِّ حين غدتْ ... عليهِ زينبُ لا أمْناً ولا فَرَقا

بلى، دعوتُك والمنأى يُقلِّبُني ... ما بينِ جَفنٍ جرى أو خافقٍ خَفَقا

ورُحتُ فيكَ صريعَ الذِّكرياتِ على ... جديدِ حُزنٍ ولكنْ من حشاً خَلُقا

أبكي الطلولَ وأنعى الدارَ موحِشةً ... وأحنو ما بينَ رسمٍ شاقَنَي ونَقا

وأقتني للأسى ما طابَ من جِدَتي ... وإنَّ مثلي لغيرِ النّوحِ ما خُلِقا

وللدِّيارِ تَعِلَّاتٌ بنادبها ... إذا على أهلِها كانَ البُكاءُ تُقى

أفدي الحُداةَ وتلكَ النِّيبَ لو علِمتْ ... بأنَّ قلبي على ترحالها فُتقا

قد حمّلتني الذي لو حُمِّلَتْهُ شكت ... على جهالتِها التسهيدَ والقلقا

وإنّما الصبُّ ما بين الورى رجلٌ ... خاض الحياةَ على ما شاء فائتلقا

لهفي على الطيّبينَ البيضِ قد رحلوا ... فعفَّ ربعُهُمُ من بعدِ ما غَدِقا

ساروا وبين جفون العالقينَ بهِم ... عجُّ الظعينِ وماءُ العينِ قد عَلُقا

كُنّا وهُم والليالي غيرُ داجيةٍ ... تمضي، ولم ندرِ تمَّ البدرُ أم مُحِقا

كُنّا ولم نرعَ للأيّامِ حادثةً ... ولا نعي الدهرَ إلّا الحبرَ والورقا

وكُنّا وكانوا وكلٌّ عبدُ سامرِهِ ... هوىً، وبئسَ العتيقُ الصبُّ إن عُتِقا

يمِّمْ أيا حاديَ الأظعانِ موطنَهُمْ ... وقِفْ بهِ نتناعى الأهلَ والرُّفقا

نزدادُ حِقداً على الدُّنيا ونَقتُلُ مِنْ ... أرواحِنا ما عدا الأشجانَ والأرَقَا

فالمَرْءُ إن لم يُرِقْ طوعاً مدامعَهُ ... أراقها كارهاً يوماً وإن أبِقا

وفقدُكَ الإلفَ ذُلّ لا بُليتَ به ... فكيفَ والإلفُ بعدَ القتلِ قد سُحِقا

أشكو ولم أدرِ يا بن العسكريِّ لمَنْ ... وقد جرَتْ مُقلتاكَ الدمعَ والعَلَقا

ولستُ أحذرُ بعْدَ السِّبطِ موت فتىً ... إلّا تَكُنْ أسَفَاً مِمَّنْ بِهِ لَحِقا

أعانك اللهُ لا الأعوانُ مُجْدِيَةٌ ... كلّا ولا زادَ فيكَ الخاذلُ الحُرُقا

ولا ليومِكَ عدّ القومُ عِدّتَهُم ... أنّى وفي حالتيهم عُذتُكَ الحُمُقا

بالأمسِ كانَ غريقَ البحْرِ ميِّتُنا ... واليومَ ميِّتُنا في البرِّ قد غَرِقا
لا سرَّ أُفشيهِ والبلوى علانيةٌ ... ولستُ أخشى وماءُ الوجهِ قد هُرِقا
ولستُ ممّنْ يعيشُ الفهمَ أُبّهةً ... وهْوَ الحِمارُ إذا استخبرتَهُ خُلُقا
إنّي لآنفُ والأحداثُ تُرغِمُني ... إذا أُرِيدُ على أن لا أُرى لَبِقا
وقد ألي الصمتَ عن أمرٍ عُنيتُ بهِ ... لستُ الجَهامَ ولكنْ من إذا انبعقا
ومن يكن دهرُهُ الأشكو دناءَتَهُ ... إمّا يمُتْ أو يمُتْ أو فلّيَمُتْ حَنَقا
رجالُهُ الرِّقُّ والنسوانُ آلهةٌ ... وصاحبُ العقلِ من للمالِ قد سبَقا
الدينُ دينارُ والتقوى مجاملةٌ ... وابنُ الثقافةِ حادينا وإن فسقا
وللأماني يُحاكُ الوحيُ أقمشةً ... وبالحضارةِ رأيُ الشرعِ قد شَرِقا
وابنُ اليهودِ على ساداتِهِ مَلِكٌ ... لا ظالمٌ بل على ساداتِهِ شَفِقا!
يا مِعدةَ المُلكِ لا خاب الرَّجاءُ وإن ... جافَ العطاءُ فإنّ الأمنَ قد عَبِقا
ويا أبي دعْ أروماتِ الرجالِ سدىً ... فعاهلُ العُربِ من بالعُربِ قد لُصقا
ويا فمي لا تقُل غيرَ الجميلِ فقد ... يُقالُ قال الفتى قولاً إذا بصقا
دهرٌ أتتنا بهِ الدُنيا على هَرَمٍ ... فلم يَخُضْ فتنةً إلّا وقد حَذِقا
لا زلتُ منهُ على ضنْكٍ وفي وَجَلٍ ... لو لم يكنْ لي أبو الفضلِ الشريفِ وِقا
حيّيتُهُ من جِوارِ العَلْقَمِيِّ فتىً ... كان اليمينَ من الإسلامِ والحَدَقا
وزُرتُ مرقدَه المرهوبَ سائلةً ... مدامعي مُذ غَدَتْ من بابِهِ حَلَقا
للهِ قُبَّتُهُ والّليلُ جلّلها ... قد كادَ بالنورِ لولا الجودِ لاحترقا
كأنّها العرشُ فوقَ الماءِ قدْ نُصِبَتْ ... بها ضميرُ قضاءِ اللهِ قد حَدِقا

قبرٌ إذا الوفدُ وافى بابَهُ عَلِمتْ ... نفوسُهُمْ أنّ بابَ الهَمِّ قد غُلِقا
وحضرةٌ مازجَ الإقدامُ روقَتَها ... كأنّ بُنيانَها بالحُسنِ قد رُشِقا
حاشا وما الذُّلُّ من أخلاقِ زائِرِه ... لكنْ بحبلٍ من الإجلالِ قد رُبِقا
ترى اللجينَ بها والتِّبرُ يلثِمُهُ ... كأنّما بعد بَينٍ عندَهُ اتفقا
بابُ الحوائجِ لا يلوي القضا يَدَهُ ... حاشاهُ واليأسُ في أبوابِهِ شُنِقا
وإنّ كفّاً عليٌّ كانَ يَلثِمُها ... لو حاولتْ مَشْرِقاً من مغربٍ شَرَقا
هذا مُناخُ المنى هذي منازِلُهُ ... هذا الرّدى والنّدى إن غاثَ أو بَرِقا
هذا هو الغِيْلُ فاحذر قبلَ تدخُلُهُ ... ألّا تُري ليثَهُ الإذلالَ والفَرَقا
حامي الضعينةِ يومَ الطفِّ لو عَضَدت ... يُمْناهُ موسى غداةَ الطّورِ ما صُعِقا
أخو العقيلةِ لا مِثْلٌ ولا شَبَهٌ ... به الوفا بعدَ طولِ العُقمِ قد رُزقا
عمُّ الأئمّةِ وابنُ الليثِ من مُضَرٍ ... أخو الإمامينِ إن صالا وإن وَدِقا
ساقي العُطاشى وقد فُتَّتْ حشاه ظمأً ... وفاقدُ الشيءِ يُعطيهِ إذا وَمِقا
وابنُ العفيفاتِ قد أربى على نَسَبٍ ... ما بينَ فِهْرٍ وعليا عامرٍ رَحِقا
لا جدُّهُ كأبيهِ في الرِّجالِ ولا ... كأمّهِ في نساءِ الخِدرِ ذاتُ نقا
كأنّه بينَ طودي نجْدةٍ ونُهىً ... نهارُ مجْدٍ على سفحيهما انفلقا
عينا أبي طالبِ الفيّاض قد عَلِمَتْ ... من بيتِهِ العُربُ هامَ المُلكِ والعُنُقا
وراهبُ اللّيلِ ليثُ الصبحِ قد وجَدَتْ ... فيْهِ الفروضُ إلى طُلّابها طُرُقا
حِلْفُ الكتابِ إذا أنشا تلاوتَه ... لم تدرِ أيُّهما القُرآنَ إن نطَقا
أعيا النُّفوسَ وقد لانت نفائِسُه ... والطّودُ يُعيي بما يُعلي إذا شَهِقا

والماءُ لا تسأمُ الوُرّادُ موردَهُ وإن سَقتْ فمِراحُ العينِ فيه سِقا
لهُ الجَمالُ ولو أنّ الأنامَ وَعَتْ لم تدعُ بالحُسنِ إلّا مَنْ بِهِ لُحِقا
بدرٌ وللحسنِ شورى في شمائِلِهِ ما بينَ خَلقٍ وأخلاقٍ به اتّسقا
كبشُ الكتيبةِ عبّاسُ المغارةِ لو تنفّسَ الصُّبحُ في ملقاهُ لاختنقا
غَصّتْ بِهِ كربلا مُذْ قال صارمُهُ من راقِ قال له ولاتَ حينَ رُقا
واكتدَّ من فوقِ مُهرٍ للِّقا نَهِدْ لو فاخرَ الشمسَ في من قد رقاهُ رقا
مُدَجّجٌ بالإبا شاكي المروءةِ لَمْ يركبْ سوى الحزمِ للعليا إذا طَفِقا
ليثٌ على كربلا ألقى بكَلْكَلِهِ فزاحَمَ الموتُ فيها النَّسرَ والوَشَقا
قلَّ اللِّوا فانتشى في كفِّهِ طَرَباً واللوحُ ليس اللِّوا مِن فوقِهِ خَفَقا
ثُمَّ انثنى للِّقا يا هَولَ حَمْلَتِهِ لو قابلَ الماء فيها النار لاعتنقا
لاقَتْهُ خيلُ ابنِ سَعدٍ وهي مُدْبرةٌ فقال للموتِ لا للبابِ فاستبقا
وخاضَهُم باسِماً من تحتِ عِثْيَرةٍ أضاعت الشمسُ في كُثبانِها الشَّفَقا
لاقاهُمُ ومُنى كلِّ غداةَ بدا لو أنَّهُ من نخيلِ الطفِّ ما بَسَقا
خَطبٌ وللموتِ خَتْلٌ حولَ صارِمِهِ أن لو تمكّنَ من أنبائِهِ استَرَقا
كأنَّهُ الصُبحُ دامي العارِضَينِ فلو أتاهُ حافظُ مصرٍ واصفاً نَهِقا
يظُنُّ لاقِيْهِ بالهيجاءِ أنهُ مِنْ ستِّ الجهاتِ لفرطِ الهول قد رُمِقا
ثَبْتُ الجَنانِ كبيرُ الحِلمِ قد نَسَجَتْ له البطولةُ من أحشائها دَرَقا
وافى الفُراتَ فأخلاهُ وهل علِمَتْ عيناكَ أيُّهما الجاري إذا اندفقا؟
وقام من حولِهِ القتلى مجزّرَةٌ تظنُّهم حولَهُ في مذهبٍ فِرَقا

أحنى على النهرِ لا أدري مدامِعُهُ ... أمِ الحشا سالَ من آماقِهِ خِرَقا

وقلّبَ الماءَ ظمآناً وخافِقُهُ ... بين الإبا والظما لولا الوفا مُزِقا

فمانَعَتْهُ مُباحَ الماءِ شيمتُهُ ... في موقفٍ أنضجتْ رمضاؤهُ الأُفُقا

يُجاذبُ الموتُ نفساً منهُ لو قُبِضَتْ ... لم يطلب الموتُ أيّاً بعدَها زَهِقا

فلم تَعُدْ قبلَهُ الآجالُ خائبةً ... ولم يجد قبلها في المجدِ مُرتَفَقا

كأنّها وهو بين البيضِ ترصُدُهُ ... نضناضةٌ تبتغي في خَيْدعٍ نَفَقا

غازٍ إذا رامَ قوماً فالغُرابُ وهُم ... من قبل عامٍ على أرواحهم نَعِقا

حَكَتْ بهِ كربلا ليلَ (الهريرِ) ضُحىً ... فشاهدَتْ يومَ (بدرٍ) أرضُها غَسَقا

وناجزت (أُحُداً) منه الكُماةُ فلم ... يجعل لها في سوى (الأحزابِ) مُفترَقا

فغادرَ القومَ صرعى لا (حُنينُ) ولا ... خُفّاهُ بل تحت أشلاءِ الرّدى فِلَقا

أبكى أبو الفضلِ دُنياهُ وأضحَكَها ... وغادرَ الدهرَ لا عَيّاً ولا طَلِقا

وعادَ بالماءِ لا خابَ ابنُ والدِهِ ... لو أنّ سَهْمَ الردى عن عينِهِ مَرَقا

فلستُ أدري أكفّاهُ التي قُطِعَتْ ... أمْ قلبُ فاطِمَةٍ من أصلِهِ نُتِقا؟

وهلْ رقا العَمَد المشؤومُ هامتَهُ ... أم أنّهُ شملُ آلِ اللهِ قد فُرِقا؟

لم أنسَ والسِّبطُ قد وافاهُ مُنحنياً ... على الجلادةِ إلّا أنّه شَهِقا

يُعلي النشيجَ ولم يُبقِ البلاءُ بِهِ ... للصبرِ حِلّاً ولا للوجدِ مُنطَلَقا

على أخيهِ يُريقُ الدمعَ، لا سَلِمَتْ ... محاجرٌ لا يُرى فيها البُكا خُلُقا

تُقبّلُ العينُ منهُ العينَ آيسةً ... ويلثمُ الصدرُ منهُ الصدرَ مُنتشِقا

ويمزجُ الدمعَ منهُ بالدماءِ كَمَنْ ... يُداهِنُ الموتَ في أن يحفظَ الرَّمَقا

يقولُ لا الصبرُ صبرٌ بعدَ فقدكَ، لا ... وما الحُسامُ بلا نصلٍ إذا امتُشقا؟
وما المروءةُ بعد الطيّبينَ سوى ... أن يُنفِقَ المرءُ من أحشائِهِ العَلَقا؟
كسرتَ ظهري أخي والقوم شامتةٌ ... ولا كفقدكَ حِمْلٌ زادَنِي رَهَقا
وغُربتي فيكَ يوم السِّلْمِ مُهلِكةٌ ... إذاً فكيف وكأسُ الموتِ قد دَهِقا؟
لا كالحسينِ غداةَ الطفِّ موقِفُهُ ... حيّاً عليه الردى والبَينِ قد طُبِقا
قُمْ وابكِهِ لا سئمتَ النَّوحَ منفَرِداً ... يا صاحبَ الأمرِ أو فاندب أباك لُقا
أو فانتحب له أشلاءً موزَّعةً ... بين القنا، أو بأيدي الخيلِ مُلتَصِقا
أيرتقي الشِّمرُ صدرَ السِّبطِ مُنتعِلاً؟ ... لهفي عليكَ وهل أُنبئتَ كيف رقا؟
أم فاتك الأمرُ؟ حاشا، والنساءُ غَدَتْ ... تُدافعُ السُّمرَ تحتَ النقْعِ واليَلَقا
للهِ حِلمُكَ لو فِرعونُ جازَ بِهِ ... في إثرِ موسى غداةَ اليَمِّ ما غَرِقا
لا عُذرَ والنِّيب يا بن الأُسْدِ جدَّ بها ... للشامِ سائقُها من بعدِ ما اعتَرَقا
هُزلاً عليها عديات العيوبِ علتْ ... رُغماً، ولكن نقيّات الجيوبِ تُقى
تُعلي العويلَ وقد أخفَتْ لواعِجَها ... من تحتِ قَلبٍ على راحاتِهِ صَفِقا
وحُسَّراً قد بدَتْ؟ قالوا، فقلت: بلى ... لولا التُّرابُ عليها والسنا رُتِقا
وحَسْبُ هاشمَ ذُلّاً بعدَ عِزَّتِها ... دُخولُهُنَّ جهاراً مجلسَ الطُّلَقا
الشامُ لا كانَ يومُ الشامِ لا قُبِلَتْ ... من بعدِهِ توبةُ الجاني وإن صَدَقا
هيهاتَ هيهاتَ أو تقتادَها شُعُثاً ... تُبقي الهَياجَ صَعِيداً بعدَها زَلِقا
في فتيةٍ ليتني مِنْهُم وقد نُدِبُوا ... كلٌّ بغير دِما أعداكَ ما أنِقا
فما لصبركَ بعدَ الشامِ من إرَبٍ؟ ... ولَخْمُك المرُّ يومَ الطفِّ قد لُعِقا

والثأرُ ليس بمُجْدٍ بعدَ ميِّتِكُم لكن لتمسَحَ عنْ صمصامِكَ العَرَقا
يا واحِدَ اللهِ يا مَلْكَ المُلوكِ ومَنْ على ظلالِكَ هذا الكونُ قد نُسِقا
ويا جديدَ الهُدى لا دينَ بعدَكَ في هذا الوجودِ لذي دِينٍ وإن عَتُقا
إنّي إليكَ لَمُشتاقُ الفؤادِ ولا كمِثْلِهِ الصَخْرُ إلّا أنّه انبثقا
ولستُ إلّا كباقي الخَلقِ من عَدَمٍ لكن هواكَ بِلا غُصْنٍ وقد وَرِقا
تجثوا الأنامُ بأبوابِ المُلوكِ جِدَىً وغيرَ بابِكَ قلبي اليومَ ما طَرَقا
فإنْ تَجُدْ لي فها أنتَ ابنُ فاطِمةٍ وليس يظمأُ مَنْ بالماءِ قد وثِقا

فدتك بنفسها كرماً وعشقا

(الوافر)

فَدَتكَ بِنَفسِها كَرَماً وعِشقا ... ونُحْتَ لِفَقدِها عِزاً وشوقا

وقامَ الدَّمعُ بَيْنَكُما فَصِيحاً ... يُمِيرُ الحُزْنَ إِبْداعاً وذَوْقَا

هي الزَّهراءُ حَيثُ دُعيتَ أماً ... وأنتَ حُسَيْنُها فيها سَتَلْقى

وإنَّ كِلَيْكُما في الخَلْقِ نَفْسٌ ... تُريقُ المَجْدَ أخلاقاً وخَلْقا

ولا كَهَواكُما في الدَّهرِ حُكمٌ ... دَعا الأيامَ للأشجانِ رِقا

بَراها اللهُ لِلإِسلامِ ثَغْراً ... ولِلإيمانِ فيهِ بَراكَ نُطْقا

وأَنْشَأَها كَما قد شاءَ قَلباً ... مِنَ التَّوْحِيدِ فيهِ سَمَوْتَ عِلقا

وأَرسَلَها على الدُّنيا سَحاباً ... ولَولا أَنتَ لم نَرَ فيهِ بَرْقا

كِتابُ اللهِ أَنتَ وأيَّ ذِكرٍ ... فُؤادُ مُحَمَّدٍ لما تَلَقى

وأُمُّكَ رُوحُهُ فبِقَلْبِ طه ... سَما لَكُما بِأَرْضِ القُدْسِ مَلقى

هي الكَلِماتُ إذْ أَوحى تَعالى ... وقَبْلَ العَدْلِ تَمَّتْ فيكَ صِدْقا

وكانَتْ لَيْلَةً لِلقَدْرِ فينا ... وكُنْتَ بِها مِنَ النِّيرانِ عِتقا

تمثَّلَ يَومُها في الأَرضِ شَخْصاً ... وكُنْتَ ظِلالَهُ في الطَّفِّ حَقّا

فَدُونَ الخَيلِ صُبحاً قد رَأَيْنا الّـ ... ـذي بالبابِ لَيْلاً قد تَوَقّى

وعَنكَ الماءَ إذْ مَنَعُوهُ حِقداً ... قُبَيْلَكَ نَوْحها مَنَعُوهُ فِسقا

ودَفنُ الطُّهرِ سِراً يا ابنَ طه ... دَعاكَ على الثَّرى في الجَهرِ مُلقى
لذلِكَ قَبرُها أَبدى غُروباً ... وقَبرُكَ لم يَزَل في الأُفقِ شَرقا
ألا لَكُما بِقَلبي كُلُّ صَبرٍ ... إذا ما بَرَّني في الحُبِّ عَقّا
وحُبٌّ صاغَني للنَّفسِ داءً ... ولِلأَصحابِ مِن حَوْلَيَّ رَهقا
وطَرفٌ لا يَمُرُّ الدَّمعُ فيهِ ... سِوى لَكُما إذا أعصيهِ رَقّا
وما دينُ الفَتى إلا وِصالٌ ... يسيرُ بهِ على الأَقذاءِ رِفقا
وليسَ المَرءُ مَن يَلْقاكَ حَياً ... ولكِنْ بَعْدَهُ سَلْ ما تَبَقى

وي كالهجاء رأت أسماعك الغزلا

(البسيط)

وَيْ كالهِجاءِ رَأَتْ أسْماعُكَ الغَزَلا ... ومِثْلُ يَأسِكَ أدمى هَمُّكَ الأَمَلا

نَحْيا ولَوْلا اتِّساعُ الوَهْمِ ما حَمَلَتْ ... أَعْضاكَ مِنْ نَفْسِكَ التَّبريحَ والمَلَلا

بِكَ استَعاضَ الهَوى عَنْ كُلِّ هائِمَةٍ ... ونُبْتَ عَن كُلِّ باكٍ في الأنامِ سَلا

أساءَتِ الرَّأيَ فيكَ النَّائباتُ وقَد ... أَحْسَنْتَ في ظَنِّها الإيهانَ والعِلَلا

تَخالُ والفِكْرُ لا تُجْدي مَحايلُهُ ... تَصَوُّرُ البَحرِ لا يُغْري بِكَ البَلَلا

والفَحْمُ مَهما يَعِشْ في نَفسِهِ ذَهَباً ... يَوْماً إلى النّارِ لَو أدنَيْتَهُ اشتَعَلا

كَأَنَّكَ القَيْظُ ماجَ اليَلمُعِيُّ بِهِ ... يُقري اللِّحاظ بما في جانِحَيهِ غَلى

لا العَقلُ يَدْفَعُ طَيْشَ الحُبِّ عَنكَ ولا ... عَنْ عَقلِكَ الحُبُّ يُقصي الحِذْرَ والجَدَلا

وأنتَ بَينَهُما مُهْرُ الحُسَينِ وقد ... لاقى بِخَيّالِهِ المُرّانَ والأسلا

تَأْبى لِحاظُكَ إلا أن تُرى عَدَماً ... أو لا تَعي غَيْرَكَ المِقدامةَ البَطَلا

حاشا مِنَ الطينِ قَد خُلِّقْتَ مِن عَنَدٍ ... لو كُنتَ قَيداً بِساقِ البَدرِ ما أفلا

لم يُدْنِفِ الصَّبرُ حُزْناً مِنكَ أو وَلَهاً ... إلا وعافى سُقاماً فيكَ أو وَجَلا

ولَسْتَ تَرجو لِعَينَيكَ الوِقارَ حَياً ... إلا إذا مَكَّنَتْ مِن قَلبِكَ الكَلَلا

ومُفسِدٌ في الهوى مَهلُ العُقولِ كما ... لا يُمتِعُ البَرقُ مَن خاضَ الدُّجى ثَمِلا

خِزْيٌ بُكاؤُكَ إن لم يَعتَقِبْ ضَحِكاً ... وذِلَّةٌ هَمسُ مَنْ لا يُحْسِنُ الزَّجَلا

ورَغْدُ عَيْشِ الفَتى حُمْقٌ إذا أمِنَتْ ... أعداؤُهُ مِنْ مَهاوي بَطشِهِ الأجَلا

وليس للمَرْءِ مِمّا نالَ مُجْتَهِداً ... إلا الذي فيهِ قَبلَ النَّيلِ قَد بَذَلا

فمَنْ تَكُن أمُّهُ للبَغْلِ جارِيَةً ... لا تَعْجَبَنَّ إذا ما أَلَّهَ الجَمَلا

وقَدْ أجَلتُ بِمَرعى الخِيفِ ناظِرَةً ... إنسانُها لم يَجِدْ غَيرَ الرُّسومِ كَلا

وكَمْ أرَقتُ على سَفحِ الحُجونِ دَماً ... لا زِلتُ أرجوهُ بَينَ العَسكَرَيْنِ طِلا

تِلْكَ الدِّيارُ أعَزَّ الشَّوقُ داثِرها ... حتى لَكِدتُ بها أن أعبُدَ الطَّللا

طُفْ بي وأَثْقِلْ مَسيرَ الظَّعنِ إنَّك في ... أَرْضٍ تُفاخِرُ فيها الأرجُلُ المُقلا

واندُبْ بها المَجْدَ وانعاني له جَزِعاً ... وخاتِلِ الكِبْرَ إن قُلْنَ الدُّموعُ بلى

واستُرِ هَواكَ بِمَرأى الشّامِتِينَ تُقىً ... فالحُبُّ عَونُ العِدا في النَّفسِ إن كَمُلا

واجفُ المُروءَةَ حِذراً والشَّهامَةَ دَع ... إن كانَ في العارِ ما يُنجي بِكَ الخَجَلا

وبالعَصا أبدِلِ الصَمْصامَ مُتَّكَأً ... واقنَعْ بِنَعلِ الإبا عَن تاجِهِ بَدَلا

فَمَنْ يَكُ العِجْلُ في أرضٍ لهُ مَلِكاً ... ورام ألا يُرى للضيمِ مُحتَمِلا

فلِيَستَبِحْ دَمَ أبناءِ الأسودِ ولا ... يأكُلْ سِوى مِن جَنى البَرسيمِ إنْ أَكَلا

عِشتُ الضَّعيفَينِ حالاً في الوَرى زَمَناً ... أرضاهُ لو لم أكُن في ظَنِّهِ رجُلا

يَعوقُني عَنْ مُنى نَفسِي عَفافُ يَدِي ... وبالغَرامِ دَمي عَن طَلِّهِ شُغِلا

ويُترِفُ الخُرْسَ من حَولي انتِساكُ فَمِي ... وزُهدُ عَيني مَن بي أَمَّرَ الجُهَلا

أبْلَيتُ كُلَيَ في وادي السَّماحِ إباً ... وجاءَ غَيري عَليهِ يَرتَدي الجَبلا

وعُذتُ أميَ في الأعتابِ مُسقِطةً ... فقيل لي البابُ يُردي المَرءَ إن قُفِلا

ولَيْسَ فَقريَ مِن جَرّاءِ هَونِ أبي ... وإنَّما اعتادَ جِيدُ الصاغَةِ العَطَلا

وأفْخَمُ النّاسِ عِرضاً مَنْ عِداهُ رَأتْ ... حصى قُبورِ ذَويه الخَيلَ والذُّبُلا

عُجْ بالبَقيعِ وذاكِرني الغَرامَ بِهِ ... ونَزِّهِ الحُسنَ فيهِ واعبُدِ الغَزَلا

وجاذِبِ المَجْدَ أطرافَ السَّخاءِ وَصِل ... بَينَ النَّبي وبَينَ اللهِ ما وُصِلا

وقِفْ على قَبرِ أزكى الخَلْقِ فيه وقُلْ ... اللهُ لو لَمَ تَنَمْ عيناكَ ما سُئِلا

يا بُؤبُؤَ الجودِ بل يا عَظمَ راحَتِهِ ... وآفة الفقرِ بل يا حُمَّةَ البُخَلا

يا مَن على "الكافِ" سارَ الوافِدونَ لَهُ ... فَفَرَّقَ "النونَ" في أعناقِهِمْ حُلَلا

يا مَنْ إذا جادَ لم تُعْقِبْ عَطِيَّتُهُ ... في وَجهِ سائِلِهِ ذُلاً ولا فَشَلا

ومَنْ يَكُ العَرشُ شيئاً في جَوانِحِهِ ... غَدَت لِضيفانِهِ أهلُ السَّما خَوَلا

أنت الذي مُقلَةُ الزَّهراءِ مَنزِلُهُ ... ومَن على قَلبِ طه أنتَ مَن نَزَلا

وأنت ظِلُّ تعالى في العوالِمِ بل ... أنتَ الذي المَثَلُ الأعلى به مَثُلا

وقُلْتُ لو لَمَ تَكُنْ حَملاً لِفاطِمَةٍ ... هذا الذي في دِماغِ المُرتَضى عُقِلا

أينَ الخَليلُ ولو كُنتَ ابنَهُ جَدَلاً ... والله يَأمُرُهُ بالذَّبحِ ما فَعلا

وأينَ يوسُفَ واللاتي شُغِفْنَ بِهِ ... مِمَّنْ إذا لَحَظَ الكَلبَ العَقورَ حلا

حُسْنٌ يُجَنُ بِهِ عَقلُ الرَّزينِ هَوىً ... ورَوعَةٌ تَذَرُ المَعتوهَ كالنُّبَلا

وأَعيَنٌ لو رَآهُ الصِلُّ مُبتَسِماً ... لأرْسَلَ السُّمَّ مِن أشداقِهِ عَسَلا

تَخالُهُ يَوْمَ تَدعوهُ لِمُعضِلَةٍ ... عافٍ رأى فيكَ ما يُنجيهِ فابتَهَلا

وخِلتُني يَومَ خَوضي في مَدائحِهِ ... فُؤادَ شاةٍ عَلَيها العيدُ قد دَخَلا

عقلُ الحياةِ وزَيْنُ الكائِناتِ فمٌ ... قامَ الوُجودُ على ألفاظِهِ جُمَلا

رَيْحانَةُ المُصطَفى بَلْ رَوْحُ بَهجَتِهِ ... والمَهمَهُ الوَعرُ يَومَ الطَّعنِ إن حَملا

أخو الحُسَينِ ويا لِلفَخرِ أيُّ أخٍ ... مِثلُ الحُسَينِ إذا دَلوُ الإباء دَلا
يُنمى إلى شَيبَةِ الحَمدِ الذي وَقَفَتْ ... بِهِ البَسالةُ لا حَولاً ولا حِوَلا
عليٌّ اللَّيثُ مَولاهُ ووالِدُهُ ... فَحَسبُ ذا وَلَداً وحَسبُ ذاكَ وِلا
شُؤمُ الكُماةِ لدى الهَيجا وأدهَمُهُ ... يُمنٌ على باعة الأكفانِ لو سَعَلا
ها تِلكَ صِفينَ سَلْ والنَّهرَوانَ مَعاً ... وسَل إذا أنصَفَتني أمُّكَ الجَملا
تُنبيكَ أنَّ مَواضيهِ المُلوكُ ولَمْ ... يَجِد لها غَيرَ هاماتِ العدا دِوَلا
وقائعٌ لَستُ أُخفيها ورُبَّ فتىً ... غَيري عَنِ الحَقِّ بَعدَ الحُجَّةِ اعتَزَلا
قَدْ يُدرِكُ الأمنَ خَتلاً مَن يُحاوِلُهُ ... وقد يُجافيهِ خَوْفَ العارِ مَن خُذِلا
وقد تُعيقُ الرَّدى نَفسُ الجَبانِ إذا ... ألوى على إستِهِ في الرَّوعِ واتَّكَلا
والعيرُ تُقتَلُ لا مِن خَوفِ صَولَتِها ... لكن إذا السّوءُ في أكتافها حُمِلا
والمَوتُ لا غَيرُهُ طِبُّ الحِمارِ إذا ... مَيلُ الغَباءِ الذي في رأسِهِ اعتَدَلا
ومَنْ على جُرمِهِ كان النُّباحُ هُدىً ... لا يَطهُرَنَّ ولو بالكَوثَرِ اغتَسَلا
أبا المَعالي ولا عُذرٌ لَدَيَّ لِمَن ... عاداكُمُ غَيرَ أصلٍ فيه قد نَغُلا
ومِثْلُكَ الشَّمسُ لا تَخفى على أحدٍ ... وهَل دُعي أبرَصُ الساقينِ مُحتَجِلا
وما الضُّحى والدُّجى إلا النَّجائبُ في ... إفشَاءِ فَضْلِكَ مَا بَيْنَ الوَرَى رُحِلا
عِدلُ الفتى مَن مِنَ الفِتيانِ يَعدِلُهُ ... وأنتَ عِدلُكَ وَحيُ اللهِ إن عُدِلا
فلا كَقَبرِكَ نُحتُ الرَّسْمَ مُنحَنِياً ... ولا كَدَمعي عَلَيهِ النَّجمَ حينَ تلا
ولا كَمَرآكَ نَعشاً يا ابنَ فاطِمَةٍ ... السُّمُّ والنَّبلُ في أرجائهِ اقتتلا
واهٍ عَلَيهِ أعانَ اللهُ حامِلَهُ ... مِنْ كُلِّ عَمرِو بُكاً أو نادِباتِ عُلا

تخالُهُمْ وهو مُلقاً في مَناكِبِهِم ... أرضاً مِنَ اللَّيلِ فيها الصُّبحُ قد قُتِلا

ولَمَ أكُنْ قَبلَهُ أدري المناكِبَ قد ... يَحمِلْنَ ما لم تُطِقْ حَملاً له العُقَلا

يكادُ مِن فَرطِ جودٍ في جنازَتِهِ ... أن يَنبُتَ العُشبُ في أكتافِ مَن حَملا

يا حامِلَ النَّعشِ لَبِّث قَبلَ تَدفُنُه ... لَرُبَّما عادَ للأيتامِ إن سُئلا

أما درى بل درى واللهِ قاتِلُهُ ... بأَنَّهُ أثكلَ الأديانَ والمِلَلا

الله.. مِن حَولِهِ لُوَيٌّ حينَ مَشَتْ ... رَيْثاً وسُمُّ الجَوى يعدو بِها عَجِلا

شَدَّت على النَّوحِ بَعدَ البِيضِ نَخْوَتها ... وأقرَتِ الوَجدَ بعد الوَفْدِ إذ مُحُلا

تُزانُ بالدَّمعِ من كُلِّ محاجِرُهُ ... والصَّبُ يَجمُلُ يَومَ البينِ إن هَزُلا

ومَنْ يَكُنْ جودُهُ جودَ ابنِ فاطِمَةٍ ... يُميتُ كلَّ الوَرى هَماً إذا ارتَحَلا

أهواك يا ابنَ عَلِيٍّ والهَوى نَسَبٌ ... بَينَ الذَّواتِ وإن لم تَنطَبِقْ مَثَلا

فابنُ اليَراعَةِ هَمُّ العَقلِ جَدَّتُهُ ... وعَمَّةُ العِلمِ كانت أمُّها العَملا

الشَّوكُ في الزَّهرِ لا يُزري بِرَونَقِهِ ... وأقدَرُ النّاس لولا العَفوُ ما اكْتَمَلا

وعِفَّةُ الليلِ تُخفي قُبحَ سالِكِهِ ... والهَمُّ لولا هَزيمُ الدَّمعِ ما احتُمِلا

وأنتَ مَن سَدَّ فاهَ الدَّهرِ نائِلُهُ ... حتى ظَنَنتُكَ مِنْ فَرطِ السخاءِ بِلا

شَوقي إلَيكِ سرى بي تَحْتَ بارِقةٍ ... لَم ألقَ للعَقلِ فيها غَيرَ ما جُدِلا

وسَفَّهَ الوجدُ في عَيني سِواكَ فَلَمْ ... أجِدْ لِغَيرِكَ مِقداراً وإن بَجُلا

وخاض بي العَجزُ مَعناك العَريضَ كما ... عن فَهمِكَ اليَأْسُ في أوهاميَ انتقلا

ووَصلُ روحِكَ روحي شَفَّ جارِحَتي ... وَصْلُ العُقولِ على غَيرِ العُقولِ قِلا

كَمْ حارَبَتني اللَّيالي فيكَ ظالِمَةً ... وكَم على شَيْبِ رأسي سَيفُها صُقِلا

وكَم رَكِبتُ المَنايا في هَواكَ فِدىً ... كأنَّ قَلبي على أَهوالِها جُبِلا

يَقْتادُني لَكَ فيها قاتِلي سَفَهاً ... ولَو دَرَى عَنْ خِصامي في الهَوى عَدَلا

لم يَلْوِني الضَّيمُ مِنْها وهيَ عالِمَةٌ ... بأَنَّني غيثُها المَشْئُومُ إنْ هَطَلا

أنا ابنُكَ السُّمُّ في أحشا عِداكَ ومَن ... أدْما المَسامِعَ والأذهانَ فيكَ صَلا

وإنَّني مَن رَأَى فيكَ العَنا تَرَفاً ... الحُبُّ لولا رَمادُ البَيْنِ ما اكتَحَلا

جَدَّت أُمَيَّةُ في إِقْصَايَ عَنكَ فما ... أَقْصَتْ سِوى اللِّينَ عَني فيكَ والهَزَلا

وحايَلَتْ أَنْ تَرَانِي طَوْعَ إمْرَتِهَا ... يَوْماً فَكُنْتُ قَذَى أَلْحاظِها الأَزَلا

أما دَرَتْ حينَ داكَ اللهُ طِينَتَها ... فِيهَا بَرَانِي عَلَى أَعضَائِها شَلَلا

أَم لَمْ تَسِمْ هامَها البَيدا وَكُنْتُ فَتىً ... رِجلاهُ تَيهاً بِغَيرِ الهامِ ما انتَعَلا

أم لَمْ تَجِدْ نَقعَ خَيْلِي في مَدامِعِها ... وقَدْ زَحِمْتُ بِهِ الغيطانَ والقُلَلا

لَوْلا هِيَ الكُفْرُ لَمْ أُدْمِنْ عَدَاوَتَها ... ولَمْ أطَأْ لِلتُّقى أَعْرَاضَها سُبُلا

ولَم يَرُقنِي الهِجَا لَولا ابْتُليتُ بِها ... والكَيُّ لَوْلا عُتُوُّ الدَّاءِ ما جُمُلا

قُبَيْلَها لَم يَكُنْ لي مِخْلَبٌ وقَناً ... ولَم تُدافِع قُبَيْلي الثُّكْلَ والخَبَلا

ولا الكَرَى جاهَدَتْهُ قَبْلُ راجِلَةً ... كأَنَّهُ بي على أحْداقِها ارتَجَلا

لَها بِقَلْبِيَ غَيْظٌ لَو جَبَهْتُ بِهِ الـ ... ـعِفرَ الضُبارِمَ في عِرْزالِهِ صَهَلا

يَؤُجُّهُ فِيَّ ذِكْرُ النِّيبِ حِينَ سَرَتْ ... بالفَاطِمِيّاتِ تَطوِي جَوْزَ كُلِّ فَلا

لَهْفي لَها قَدْ كَساها البَيْنُ مِحْنَتَهُ ... ومَزَّقَ النَّوْحَ مِنها الهَضْمُ والجُمَلا

كانَتْ وعَهْدِي بها لِلمُستَجيرِ حِمىً ... ونَهْلَةَ الرَّيِّ للعاني إذا انتَهَلا

مَضى حِماها فَذَبَّ الدَّمْعُ عَنْ دَمِها ... حُزْناً وصانَ البَلا مِنها الذي فَضُلا

وغادَرَتْ أهْلَها الهَيْجاءُ كُلَّ فَتىً ... عَلَيْهِ وَجْداً فُؤادُ الدِّينِ قَدْ مَجُلا

صَرْعَى اتَّخَذْتُ البُكا مِنْ بَعْدِهِمْ وَطَناً ... أنا المُقيمُ ولَو كُنتُ الذي ارْتَحَلا

ومَن على السِّبطِ لَمْ يُهْرِقْ مَدامِعَهُ ... هُوَ السَّفيهُ ولَو بالعِمَّةِ اعتَقَلا

وَقَفْتُ في الطَّفِّ أرثِيهِ وُقوفَ فَتىً ... بِهِ رَقِيبَاهُ مِنْ فَرْطِ الأسى ثُكِلا

أنْعاهُ والدَّمعُ كادَتْ عَينُهُ جَلَدي ... لولا تَدارَكْتُ مِن أخلاقِهِ الخُيَلا

لي لَذَّةٌ حينَ أبْكِيهِ تُراوِدُني ... عَنْ فَهْمِها العَبقَرِيُّ الحِنكُ قَدْ ذُهِلا

ولَو بَكى لَوَعى أنَّ الحِجا مَلِكٌ ... والدَّمعُ أجرَأُ مَنْ في مُلكِهِ وَغَلا

لَذاذَةً قَامَ عَنْها الغِرُّ مُكْتَهِلاً ... ولاكَ ذو الشَّيبِ فِيها العُمْرَ مُقتَبِلا

أو مَسَّها الصَّخرُ أدمى تحتهُ أسِفاً ... والأُفقُ لَو ذاقَها لَمْ يَبْرَحِ الطَّفَلا

كَأنَّها المَوتُ مِن كُلِّ القُلوبِ غَدَتْ ... على سَواءٍ أخَفَّ العَقْلُ أم ثَقُلا

فابكِ الحُسَينَ وأسْعِدْ قَلْبَ فاطِمَةٍ ... فأنْفَعُ العِلْمِ ما بالقَلبِ قَد عُقِلا

السُّحبُ لو كانَ ذو عَقلٍ لما هَطَلَتْ ... عَيناهُ إلا على الحَيِّ الذي قَحُلا

وإنَّما رَوعَةٌ في الرَّوضِ تُطْرِبُهُ ... والماءُ حَيْثُ حَياةُ الماءِ قَد جُعِلا

ما كان عهدي بالّذين تحمّلوا

(الكامل)

ما كانَ عَهْدِي بِالذينَ تَحَمَّلُوا ... إلا كَعَهْدِ مَنِ احْتَواهُ الجَنْدَلُ

هَجَرَتْ قَرارَ الحالِ نَفْسِيَ مُذْ رَقَى ... قَلْبي جهامَ العيسِ ساعَةَ أَجْفَلوا

وحَكَتْ دُمُوعي إِثْرَهُمْ رَسْمَ السُّرى ... بَعْضٌ يَخِبُّ وآخَرٌ يَتَغَلْغَلُ

ومَحاجِري لِفِراقِهِم كَدِيارِهِم ... أَوْدى مَعالِمَها مُلِثٌّ مُمْحِلُ

أَسْلُو وَكَيْفَ لِيَ السُّلُوُّ وَلِي بِهِمْ ... رَأْيٌ يُشَلُّ وذاكِرٌ يَتَبَتَّلُ

ولَهُم بِأَحْشائي نَجِيٌّ صَبابَةٍ ... عَنْها جِهاراً مُقْلَتَيَّ تُوَلْوِلُ

الله يا وَطَنَ الأَحِبَّةِ إِنَّني ... لِطَلِيقِ فِكْري في ذُراكَ مُكَبَّلُ

وأراكَ مَغْنى ما أَزُجُّ مِنَ الثَّنا ... نَظْماً وإيماءً عَلَيْكَ أُدَلِّلُ

ولأنتَ عَيْنُ مَعِينِ كُلِّ رَوِيَّةٍ ... بِدُموعِ ناظِمِها طِلاً تَتَكَحَّلُ

لم أقتَبِسْ مِن قاعِ قَلْبي جَذْوَةً ... إلا وأنتَ بِها الشِّهابُ الأَجْدَلُ

كَلا ولَنْ أُبْدي لِغَيْرِكَ هِمَّتي ... ما دُمْتَ أنت مِنَ الهُمومِ الأطوَلُ

ومِنَ الهَوى دارٌ يَحِلُّ بها الفَتى ... في الحِلِّ والتَّرْحالِ لا تَتَبَدَّلُ

وَطَنٌ وحَيْثُ أُحِبُّ فهو مِنَ الهوى ... قَتْلي وَحَيْثُ أشوقُ فَهو المقْتَلُ

وَطَنٌ مَرابِعُهُ مَراتِعُ ناظِري ... وكَذا مَنازِلُهُ لِقَلْبِيَ مَنزِلُ

وَطَنٌ بِهِ الزَّهْراءُ حَطَّ جَلالُها ... فَفِداءُ تُرْبَتِهِ الوُجودُ الأَكْمَلُ

أَصْلُ النبوَّةِ والوِلا يُنْبِيكَ عَن إجلالِها مَلَكٌ ويَشْهَدُ مُرْسَلُ
هي روحُ حَيْدَرَةٍ ومُهْجَةُ أَحمدٍ بَل إنَّها الخَلْقُ الكَريمُ الأَوَّلُ
خَيْرُ النِّسا بَلْ خَيْرُ مَنْ وَطِئَ الثَّرى مِنْ دونِها رُفِعَ السِّماكُ الأعْزَلُ
عَنَّتْ لها الأَيامُ فَهي شَواهِدٌ تَمْضي على آياتِها فتُبَجِّلُ
آلاؤُها هِبَةُ الحَياةِ وفَضْلُها في الكائِناتِ على المَدى مُتَطَوِّلُ
ولأجْلِها ابتَلَجَ الصَّباحُ ونورُهُ واسوَدَّ ليلٌ في المجرةِ أليَلُ
ولحبِّها خَلْقُ الجنانِ وسُعِرَتْ نارٌ لشانِئِها تشوه وتنكِلُ
سادَ الورى أجدادُها وبها على أجدادِها أبناؤُها قد فُضِّلوا
والدرُّ كلٌّ في الجمالِ مُصدرٌ لكن يَزينُ الدرَّ ما هو أجمَلُ
خَلْقٌ ولكن فَوْقَ كُلِّ خَلِيقَةٍ جَلَّتْ فَمَعْناها البَعِيدُ المُعضِلُ
سَلْ «هل أتى» أوَ هَلْ أتى بِمِثالِها دَهْرٌ يَجُودُ على الأنامِ ويَبْخَلُ
هي آيةُ القُرْبى وشَرعُ وِدادِها فرضٌ به مِنّا الفَرائِضُ تُقبَلُ
هي ليلة قد جَلَّ قدساً قدرُها فيها الملائكُ بالقضاءِ تَنَزَّلُ
وكذاك تَرْبُو أَلْفَ شَهْرٍ مِثْلَما هي مِنْ جَمِيعِ الخَلْقِ طُراً أَفْضَلُ
الطُّهرُ نَفساً والرَّضِيَّةُ رُتبَةً أبداً وأزكى ما يكونُ وأنفَلُ
جَمَعت صِفاتَ الأنبياءِ فكلُّهم مِنها على قَدَرٍ يَرومُ ويَنهلُ
والكلُّ ما نزَلَ القضاءُ بِساحِهِ في النائِباتِ بفضلها يَتَوَسَّلُ
وشَفِيعَةٌ في الحَشْرِ يَوْمَ وُقوفِهِمْ والكُلُّ يَرْجوها هُناكَ ويَأْمُلُ
جَهِلَ الوَرى مِقدارَها فَتَراهُمُ يَتَصاوَلُونَ بِها وكُلٌ أعْزَلُ

فالبَعْضُ عن سَفَهٍ يَقولُ ويَدَّعي والبَعْضُ يَخْبِطُ كالعَشِيِّ ويخطِلُ
والكلُ في دَرَكٍ تربَّصه الردى فيه العقولُ عن البصائر تذهَلُ
جلَّت فدقَّت في النفوسِ فضاق عن إدراكها عقلٌ وضلَّ مُضلَّلُ
أبداً كمثلِ الشَّمسِ يُبديها الضيا وعن العيونِ بضوئها تتسربلُ
مفطومة عن كلِّ رجسٍ كُنهُها سرٌّ لدى علمِ الإله مجلَّلُ
هي سرُّ بارئها ومحض جلالِهِ ومِثالُهُ الأعلى الذي لا يُعدَلُ
هي رُكنُ رحمتِهِ وغايةُ جودِه وجَنابُ رأفتِهِ البَهِيُّ المُؤثَلُ
والحجَّةُ الكُبرى على حججِ الورى من عِلمِها نَهَلوا وعنها أَنْهَلوا
فاللَّوحُ مما تحتويهِ علومُها يبدي على صَفَحاتِهِ ويُسَجِّلُ
مَلَكت زِمامَ العالَمِين فأمرُها فصلٌ لدى سمةِ القضاءِ وفيصلُ
نفسي لمقدمِها الفدا أيَدُعُّها عبدٌ ويَزجُرُها اللَّئيمُ الأرذَلُ
وهي التي طَوْعاً لِهمَّةِ لَحظِها عقلُ المجرةِ صاغراً يتمثَّلُ
يا عقلُ فاجزَع ما ذَكّرْتَ مُصابَها إن العقولَ لمثلِ ذا لا تعقلُ
والدَّمعَ يا عيني فسُحيهِ قذاً سَيْلاً به تَطِفُ الجبالَ الأسهلُ
واحكي فؤادي وجدَ كلِّ مُتيمٍ سمةُ الأسى في وجنَتيهِ تُدَلِّلُ
وبِغُصَّتي لُذْ يا لِسانيَ مثلَما لاذَتْ وراءَ البابِ ساعةَ أقبلوا
أوَ تُحرَقُ الدارُ التي عن أهلِها ما زال ثغرُ البيِّناتِ يُرَتلُ
أوَ يُلطَمُ الوجهُ الشريفُ وكم هوى طه بأمرِ اللهِ كان يُقَبِّلُ
أوَ يُسقِطونَ جنينها لهفي لها وبصدرها المسمارُ حقداً أشكلوا

وتقول يا ابن العم يا غوثَ الورى ... يا من لصارمِه يُساقُ الجَحفَلُ
يا واحدَ الدنيا وغِبَّ فنائها ... ومُجندلَ الأبطالِ حيثُ تَجَدَّلوا
أتراه يلطمني ويحرق منزلي ... وينال من حُرمي وأنت مُكَبَّلُ
وخلافةٌ لك قد أقيمَ قوامُها ... لسواك يا ابن الخيرِ ها قد أنحلوا
بمن العزاء ومن سواك لي الحمى ... وبمن يجار المستجير ويأمُلُ
فأجابها والدمع من أثرِ الضنا ... كالنارِ يقدحُ في اللحاظ فيُشعِلُ
لولا وصيةُ أحمدٍ لسقيتُهم ... صرف الردى مما يمج المِنصلُ
ولَسُمتُهم خَسْناءَ يَغْلُظُ كَلْمُها ... فيها تَجُسُّ على الأُنوفِ الأَرجلُ
لكن أُمِرْتُ بحمل ما لو بعضُهُ ... في يذبُلٍ لاندك قاعاً يذبلُ
والفضلُ في عدلِ الصروف وإنما ... صبر القلوبِ على النوائب أفضلُ
أسَفي عليك أبا الحسين بقدر ما ... أنا عن ولائك في التفاخرِ أرفلُ
وكما عليك تفجعي طول المدى ... لك في سرورِ القلبِ ما هو أطولُ
ولقد جمعتَ بخِلقَتي ضدينِ ما ... جمعا سوى في من بحبك يُجبلُ
لينَ الحيا ورقيقَ طارئة الهوى ... وجلادَ مقتحمِ المهالكِ فطحَلُ
وكذاك أنت بهيجُ رائقةِ الولا ... طوراً وطوراً في النوائبِ مِعولُ
شرعٌ هواك ويا بحبك من لظى ... ننجو غداة عداك فيها أُدخِلوا
يا راكباً وثبت به شِملالةٌ ... وَثبَ المها حيثُ استشاطَ النهشلُ
حثاً تخالُ بها يَلَمْلَمَ سارِباً ... وعلى قوائمِها تميسُ الأسهلُ
عرِّج على شِعبِ العُلا من غالبٍ ... حيث الصفا والمُستجارُ يُقَبَّلُ

وَأتِ الحُجون وقل ألا مِن هاشمٍ نفرٌ على شَحذِ الصوارمِ أُنسِلوا
أين الأُلى تركوا التِّراتَ وقبلُ هم زُبُرَ القلوبِ على السَّوابغِ أهدلوا
أين الذين هم إذا شبَّ الوغى من دونها بذلوا النفيسَ وأجزَلوا
المانِعينَ الجارَ وهو طريدُهم والمُكرمين الضيفَ أنى أُنزِلوا
والمُرجفين قلوبَ أقرانِ اللِّقا بثَباتِ أفئدةٍ تَقُدُّ وتُرْقِلُ
والمُطعمينَ الوحشَ من صَيْدِ القَنا والراكبين الموتَ حيث ترجلوا
العابدين الزاهدين أولي النُّهى عن قولهم وحي الكتاب يُؤَوَّلُ
الراجحين العقل مهما نوظِروا والراسخين الحلم مهما زُلْزِلوا
قومٌ إذا ثقُلَت مطالِبُ ذي العلا خَفوا لداعيها بما هو أثقلُ
أبداً كأمثالِ السحابِ أكفُّهم إما نَوالاً أو وبالاً تهطلُ
سَلْهُم فديتُكَ أين حلَّ شريدُهم ولأي حينٍ بالغيابِ مُجَلَّلُ
ولم القعود وقام دين بني الخنا في مَنْ يَشاءُ مِنَ العِبادِ يُنَكِّلُ
إن كان يسمعني فثمَّةَ مُبرِقٌ في الصدرِ يُذكيني وثمَّةَ مزجلُ
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ نعشٌ وعزَّ لقبرِهِ من ينزِلُ
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ سيفٌ تَقَلَّدَهُ اللَّعوب الأخطلُ
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ أضحى خيالاً عابِراً لا يُعقَلُ
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ شكلٌ على زِيِّ الفعال مُشَكَّلُ
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ دُسَّ النقيعُ به وزُجَّ الحنظلُ
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ في كلِّ أحكامِ العقولِ مُعَطلُ

عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ يدعوك وا غوثاه يا مُزَّمِلُ
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ خلف الجدار عليه ناراً أشعلوا
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ شلوٌ على أرضِ الطفوفِ مُرَمَّلُ
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ يُسبى جهاراً واللواحظُ هَمَّلُ
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ في الأسر لا يُفدى وثمَّ مُغلَّلُ
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ دونَ الحرائرِ في الفراتِ مجَندلُ
عجل رعاكَ اللهُ دينَ محمدٍ سم وتشريدٌ يُدعُّ ويقتلُ
عجل رعاكَ اللهُ أنتَ غِياثُنا ومَلاذُنا وعصامُنا والمَوْئِلُ
عجل فَدَيتُك يا إمامَ زماننا فالكلُّ مُرتَقِبٌ عليك مُعَوِّلُ
طه إليك حَدَوْتُها عَلَوِيَّةً نجلاء تُجمِلُ في الهوى وتُفصِّلُ
مهلاً على أعتابها سال الحِجا وسعى إليها القلب وهو مُهرولُ
تعلو على صَهَواتِ ضابِحةِ الحشا فيُثارُ عنها في العقولِ القَسطلُ
يهفو لها سَمعُ السماءِ وعن سنا قَبَساتِها طرفُ الثريا يعدلُ
في مدحكُم ورِثائكُم أُهديكَها عقداً على جيدِ الزمانِ تجلجلُ
صلى عليك اللهُ يا روحَ الهُدى وعلى بنيك الخير ما قد أمَّلوا

إذا لم يُمتني الشوق أزرى بي العذلُ

(الطويل)

إذا لم يُمِتْني الشوقُ أزْرى بيَ العَذْلُ ... وإنْ لم يَسَعْني العَقْلُ ضَاقَ بِيَ الجَهْلُ

خَليقٌ بمنْ ألْوَى تَجلُّدَهُ الهوى ... وإنْ كان قُبحاً أنْ يُزانَ به القتلُ

يَرُوعُ الردى نفسَ الشَّجيعِ وعاذرٌ ... إذا لم يَرُعْهُ الرَّسْمُ أو تُرْدِهِ الإبْلُ

وليسَ قتيلاً منْ أُريقتْ دماؤُهُ ... ولكِنَّ مَنْ أَوْدَى بِمُهْجَتِهِ الثُّكْلُ

أطَلْتُ على كُوفَانَ حَبْسَ صَبَابَتي ... فَأَوْشَكَ حُزْناً أَنْ يَشِيخَ بِها النَّخْلُ

وجُزْتُ على وَجْدٍ بِدَارَةِ مُسْلِمٍ ... فَلاقى أَخاهُ الصَّبَّ في أَرْضِها الرَّمْلُ

دِيارٌ يَهولُ المجْدُ قَلْبَ نَزِيلِها ... فَكُلُّ عُيونِ النّاظِرينَ لها نُجْلُ

وإنْ لم تَعِ الوُفادُ فَضْلَ قَطينِها ... فَبِالطَّعْنِ ما يُغْني وإن جُهِلَ النَّصْلُ

وأَرْضٌ رَسُولُ السِّبْطِ تَحْتَ تُرابِها ... فَتِلْكَ مِنَ التِّيجانِ ما زَيَّنَ العَقْلُ

أَرَقْتُ على ذِكْراهُ كُلَّ تَحِيَّةٍ ... بِغَيْرِ دُموعِ العِزِّ ليسَ لها صَقْلُ

ونُحْتُ مَعَ الزَّهْراءِ حُزْناً لِيَومِهِ ... فَأَلْفَتْ مَعَ الآياتِ أَحْداقِيَ الرُّسْلُ

غَريبٌ يُذِيبُ القَلْبَ ذِكْرُ مُصابِهِ ... بأَهْلِيَ مَنْ أَمْسَى ولَيْسَ لَهُ أَهْلُ

بِهِ فُجِعَتْ عَيْنُ الحُسَينِ ومِثْلُهُ ... يُصابُ بِهِ مَنْ لا يُصابُ لهُ مِثْلُ

وإنَّ فَتىً دانَ الوُجودُ لِفَضْلِهِ ... جَدِيرٌ على لُقْياهُ أن يُرْكَبَ الهَوْلُ

هَوَانُ نَزِيلِ الدِّارِ هَوْنٌ لِرَبِّها ... وذُلٌّ لَهُ إنْ مَسَّ ضِيفَانَهُ الذُّلُّ

بُكاء العين من كرم الخصالِ

(الوافر)

بُكاءُ العَينِ من كَرَمِ الخِصالِ ... وحُزنُ القلبِ من خيرِ الفِعالِ

وبَعضُ المرءِ ماءٌ في السَّجايا ... وبَعضُ طِباعِهِ صرفُ الرِّمالِ

وأمرُ تداوُلِ الأيامِ فينا ... يُغَيِّرُ أصْلَ بَيضاءِ الزُّلالِ

وإنَّ العَقلَ لا يُجدي إذا ما ... أماتَ العِلمُ عاطِفةَ الرِّجالِ

كذاكَ البدرُ مَشحوبُ الثَّنايا ... إذا غابَت عنِ الأفقِ اللَّيالِي

تُعاتِبُك الصُّروفُ وربَّ عَتبٍ ... عَليْكَ أشدُّ مِن وَقعِ النِّصالِ

وتطلُبُكَ المَنونُ وأنت منها ... كَمَن رام العِناق مِن الظِّلالِ

وتبدو ضاحِكاً حتى ظننّا ... بأنَّك من جَميعِ الحُزنِ خالِ

كمِثلِ الشَّمسِ ضاحِكَةَ المُحيا ... تَراءَتْ وهي دوماً في اشتِعالِ

ومَن ذاق الهوى كَتَبَت عليه ... مَقاتِلُهُ المماتَ بلا قِتالِ

بِنَفسي أيَّ كارِثةٍ أبالي ... وأي مَخوفَةٍ أزْرَت بِحالي

وأيُّ ديارِ مَن أهوى طلولٌ ... عليها واكِفاً أضحى مُذالي

وقَفتُ بها وما وقَفَت دُموعي ... أُسائِلُها فيُشجيها سُؤالي

دِيارٌ قد خَلَت من كلِّ ذِمرٍ ... يُذَمَّمُ يومَ إهراقِ النَّوالِ

عَليهِ من خَيالِ المَجدِ ثَوْبٌ ... فلَستَ تراه إلا في الخَيالِ

فَريدُ الجدِّ يومَ الجدِّ طِرفٌ تَحدَّرَ في الكمالِ مِن الكمالِ
تَفرَّدَ في الخِصالِ فلا شَريكٌ يُشارِكُهُ وليس بذي مثالِ
ومَن مِثلُ الحُسَينِ مِنَ البَرايا إذا عُدَّ الأواخِرُ والأوالِ
ومَن مِثلُ الحُسينِ بَكَتهُ عَينٌ كعَينِ اللهِ دامِيةَ الجلالِ
بِعَقلي من أخلَّ ثُباتَ عَقلي وشطَّ به عن القلبِ احتمالي
ولَم أكُ قَبلَ يومِ الطَّفِّ أدري بِأنَّ الصَّخرَ من دَمعِ الجِبالِ
ولَم أُبدِ قُبَيلَ العَشرِ حُزني بِدامِيةِ الرَّوِيَّةِ والنِّضالِ
أيا ابنَ الخَيرِ من فِهرٍ سَحابٌ لِحاظي والرَّواعِدُ مِن مَقالي
فإنْ بَكَتِ الأنامُ عليك دَمعاً فإنّي ذارِفٌ دَمعَ النِّبالِ
وإن ذَكِروا عزاك ذكرتُ فيهم شجا أمِّ البنينِ ولستُ سالِ
ولو أنَّ الأنامَ جفَتكَ طُرّاً كفاك نحيبُها مِن كلِّ غالِ
فَدَتك بأربَعٍ كالمُزنِ جوداً وأمثالِ الصَّواعِقِ في النِّزالِ
تَخالُ بِهِم عَلِيّاً يومَ أُحْدٍ وحمزةَ يومَ تقصيفِ العوالي
غَطارِفُ هاشِمٍ وحِمى لُوَيٍّ ونجدَةُ غالِبٍ عِندَ السُّؤالِ
بِهِم فَخَر التُّرابُ على الثُّريا وكلُّ ملاصِقِ العَلياءِ عالِ
فذاك إذا اعتَزى للأُمِّ فَضْلٌ وفضلُ النَّجمِ مِن فَضلِ الهلالِ
بَكَتهُم أدمُعاً وبَكتكَ روحاً تردَّدُ بينَ تيارِ المجالِ
وقالت لا أظلَّ اللهُ عُمري وأنتَ بغيرِ بارِدةِ الظِّلالِ
ولا ضلَّت عن العَبَراتِ عَيني وأنت قَتيلُ أبناءِ الضلالِ

ولا ذُقتُ الزُّلالَ وأنت مُلقىً على الرمضاءِ مَحرومَ الزُّلالِ
أذلنا فيك أنفاساً عليها من العبراتِ جارِيةُ الدَّلالِ
ورُمنا أن نموت فما أمتنا سِوى حُلوِ القَرابةِ والوِصالِ
سأبكيك الحياةَ وبعد موتي ولو أُلحِدتُ في كَنَفِ الرِمالِ
فِداك أبا الطفوفِ نَفيسُ نَفسي وأولادي وحامِيتي ومالي
هَواك بِمُهجَتي وسوادِ عَيني وكلِّ جوارحي فلك امتِثالي
عَلَيكَ الله صلى ما تَناهت بِقَلبِ الحُزنِ عصماءُ السِّجالِ

لمن الرؤوس على الرماح جمالها

(الكامل)

لِمَن الرؤوسُ على الرِّماحِ جَمالُها ... ومَن النِّسا بين القَنا أذيالُها

وَمَن الصِّغارُ مواطئَ الخيْلِ الّتي ... مِنْ قَبْلُ لَدَّ المُصطفى خَيّالُها

وَمَن الكرامُ فَدَوا شريعةَ أحمدٍ ... والشّمْسُ ينضحُ بالدماءِ زَوَالُها

وَمَن الشفاهُ الذابِلاتُ نواهِلاً ... ماءَ السِّياطِ وَنَوحُها إعلالُها

وَمَن الدِّماءُ السَّائلاتُ على الظُبى ... وَعَلى خُدودِيَ قَدْ جَرَتْ ما بالُها

وَمَن الوُجُوه النيِّراتُ على الثَرى ... لِلْخَيْلِ ثَمَّةَ قَصْدُها ومجالُها

وَمَن العقائِلُ في الفلاةِ ضَواحِياً ... وعَلى حَشا الهادي تَخِبُّ جِمالُها

والشَّامُ مَنْ، سلني أُجِبْكَ وإنْ هي الـ ... ـعُظمى الّتي أعيا الفصيحَ مَقَالُها

وَمَن العَليلُ أنَا الفِداءُ لِسُقْمِهِ ... وَمَن الأكفُّ الدَّامياتُ حِبالُها

وَمَن الجُيوبُ مُضَرَّجَاتٍ بالإبا ... وَالأُسْدُ أبْعَدُ ما يُرى إذلالُها

وَلِمَ الحِذارُ وَقَدْ تَرَكْنا عَيْنَهُ ... مِنْ بَعْدِ عُتْبَةَ والرَّدى مِكْحالُها

وَمَن الظما ما زِلْتُ أشْكو حَرَّهُ ... وأنا السَّما رِيُّ البلادِ وَنَالُها

وَتماوتي ماذا؟ وَغَيريَ نَفْسُهُ ... بَيْنَ الأسِنَّةِ في الطُّفوفِ حِلالُها

وَمَن المُلامُ على الضلالةِ في الورى ... عَمُّ الشريعةِ ـ يا حِمَا ـ أمْ خالُها

وَسَل الوُلاةَ مَنْ الّذي وَلّاهُمُ ... حَتّى وإنْ جُرماً عَلَيْكَ سُؤالُها

وَمَن المُقادُ إلى السقيفةِ عَنْوةً ... وَمَن الّتي مِن خَلْفِهِ تِعْوالُها

وَلِمَ التغابي وَالمَمَالِكُ كُلُّها ... لِبَني عليٍّ ـ لا سِواهُ ـ مآلُها

وَمَن الصَّبابةُ أوقَفَتْني في الحِمَى ... وَعَلَيَّ مِنْ رَهَجِ الوغى سِرْبالُها

وَلِهاً وما زارَ الطُّلولَ مُتَيَّمٌ ... يُمْناهُ يَرْعفُ بالدِّما عَسَّالُها

رَهْنَ اشتياقٍ قَدْ وَقَفْتُ بِها ضُحىً ... وَصَريعَ يأسٍ أنْ يَعودَ مُحالُها

أعنو لِما فَارَقْتُ مِنْ أُنسٍ بِها ... وَالعينُ يَهْزأُ بالنَّوى تِهْمالُها

وأحِنُّ ما بَينَ الرُّسومِ ولو وَعَتْ ... حَنَّتْ لِما بي مِنْ جوىً أصْلالُها

تَنْعى ليَ الأطلالُ فيها مَعْشَري ... وَلَقدْ أتاها ـ لو دَرَتْ ـ مِثْكالُها

فَكَأنّها صادٍ يُعالِجُ مَوْتَهُ ... وَكأنّني لَمّا انْتَحَبْتُ بَلالُها

دِمَنٌ بِها نَشِبَ العَفاءُ وَلَمْ تَخُنْ ... عَهْدَ المَوَدّةِ رِيْحُها وَرِمالُها

وَبِها دُموعي القانياتُ شَواهِدٌ ... أنّي وَفَيْتُ، وَضيّعتْ نُزّالُها

وأنا الفتى المِكْتامُ لا قلبي درى ... مَا بي، ولا نَفْسي دَرَتْ مَا حَالُها

وَمُشَرَّدٍ لا تُبْتُ عَنْ تَلَفي بِهِ ... وَالنَّاسُ فيما تشتهي آجالُها

أعمى الحياةَ غِيابُهُ وأصمَّها ... مِنْ بَعْدِ ما أعيا الطَّبيبَ شُلالُها

فُجِعَتْ بِهِ نَفْسي وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ... لكنْ مخافةَ أنْ يَموتَ وِصالُها

وَتَخَيَّلَتْ نَيْلَ المُنى في قُرْبِهِ ... حتّى أقادَ لها العُقولَ خَيالُها

وَلَرُبَّما حَدَّثْتُها بِلِقائِه ... سَحَراً فَتُصْبِحُ لا تُذَمُّ فِعالُها

وَفِعالُ جِسْمِ المَرْءِ ظِلُّ حديثِ ما ... في نفسِهِ، وَمِنَ الفِعالِ مَقالُها

فَافْعَلْ وَقُلْ ما شِئْتَ لَسْتَ سِواهُما ... أبَداً، فَقَدْ لَزِمَ الجُسُومَ ظِلالُها

أمُقيمَ روحي في مَتاهةِ لَيْلِها ... ودَليلُها ما أوقدتْ عُذّالُها

وَمُغادري شكّاً تَيَقّنَت العِدى ... عَنْهُ بأَنَّكَ في غَدٍ أهوالُها

ومُخَلِّفي حُلوَ الكآبَةِ مَنْطِقي ... وَسِوايَ مُرٌّ في المَبَاهِجِ قالُها

لِمَ لا أراك؟ أهاجَ فيكَ تَوجُّعي ... أمْ شَطَّ عَنْكَ بأدمُعي مِرسالُها

أمْ أنْتَ قَلْبي يُوسُفٌ أَلْقَتْ بِهِ ... في الجُبِّ نَفْسي طَيْشُها وَخَبالُها

أمْ بِعْتُ وَصْلَكَ بالبخيسةِ لَذّتي ... زُهْداً فأولاني الجَفاءُ وَبالُها

بَلْ لم أجُزْ نَهْرَ الأنانيةِ التي ... شَرٌّ مِنَ الظمأِ المُميتُ زُلالُها

والمَرْءُ تُخْزيهِ أناهُ إذا طَغَتْ ... وَلِذا أُحِلَّ على الأُباةِ قِتالُها

لَكَ بَيْنَ آثامي سَعَيْتُ بِعَزْمَةٍ ... لَولا الهوى قَعَدَتْ بِها أغلالُها

وَقَصَصْتُ آثارَ الدُّموعِ إليكَ مِنْ ... عَبَراتِ آبائي الوَثيقَ مُسالُها

بَلْ شِمْتُ حُبَّكَ مِنْ حُجورِ حَرائرٍ ... بِكَ طابَ مَنْبِتُها وَعَفَّ حِجالُها

وَنَبَذْتُ آراءَ الرِّجالِ لِما خَلَتْ ... مِنْ أدمُعٍ وظبىً يُهابُ صِقالُها

وَتَبِعْتُ مِنْ عُلما مَوَدَّتِكَ الّتي ... هُوَ في صُدورِ المُتْرَفينَ سُلالُها

وَجَفَوْتَ ذا الفرحِ السّفيهِ لأنّها ... طُبِعَتْ على طولِ الجَوى عُقّالُها

وَسُقِيْتُ مِنْ قَتْلى هَواكَ غَوادِياً ... حُمْراً سقاني ما سُقوا هَطّالُها

في كُلِّ دارٍ لِي عُفاتُك رَوْقةً ... وَسَوادُ حُزْني في غِيابِكَ خَالُها

وأنا الحَيارى فِيكَ بينَ مَعَاشِرٍ ... هُدِيَتْ إلَيْكَ بِحَيْرَتي ضُلّالُها

وَلَقدْ طَلَبْتُكَ في المواطِنِ كُلِّها ... ـ روحي فِداكَ ـ وطالَ بي تَرْحالُها

أمَلي يُعاضِدُني وَحُبُّكَ حارِسي ... وَلِقاكَ غايةُ مُنْيَتي وَكَمالُها

ما خانني جَلَدي بِذا كلّا ولا أنا في دِراكَ نَقيبَتي مِخْذالُها
فَوَجدْتُني رضوى وأنْتَ نَزيلُهُ وَالطَفَّ أنْتَ وَمُهْجتي نُزّالُها
وأبى اللِّقا بَيْني وبَيْنَك جَنّةً إلّا وأيّامُ الحُسينِ جَمَالُها
فَلِذا صَبَرْتُ النَّفْسَ تَنْدِبُهُ الغدا ةَ وفي العَشِيِّ رِباطُها إعوالُها
حُزْناً على ما نابَهُ وصبابةً للقاكَ ثُمَّ عنِ الدُّنا إهمالُها
لَمْ تَعْدُ عيني عن فتىً مثلي، ألا والعينُ يُسْعِدُها الّذي أمثالُها
ها، أوقدا يا صاحبيَّ النارَ في قلبي فإنّ حياتَهُ إشعالُها
واستسقيا يا صاحبيَّ مَحَاجِري إنَّ البلادَ هلاكُها إمحالُها
وذرانيَ المُضْنى يُطبِّبُني الأسى أو للتِراتِ، وأينَ مِنْكَ مَنالُها
ما العُذْرُ لي حيّاً بُعَيْدَ جنائزٍ في كربلا اضطربت إبىً أوصالُها
وَبِمَ الذريعةُ والأعادي لم تُسَمْ وَسْمَ العبيدِ نِساؤها ورجالُها
إنْ لم يَكُنْ دينٌ فبعضُ حميَّةٍ والصمتُ لو جادَتْ بِهِ جُهّالُها
ما ضرّني خصمي اللقيطُ وإنّما مِنْ جِلْدَتي حُمقاؤُها وذِلالُها
فأنا الّذي فَتَكَ العُضالُ بِكَفِّهِ ساعَ الطِّعانِ وطِبُّها استئصالُها
وأمَرُّ مِنْ هذا غثيثٌ قالَ لي تَلَفُ الأماني يا فتى استعجالُها
فطويتُ كشحاً عنهُ ثمَّ أجبْتُهُ تَلَفُ الأماني يا فتى "استعجالُها"
وَلَئِنْ أبى دهري حياةَ العِزِّ لي لَمْ تأبَ لي موتَ الكرامِ نِصالُها
ولِمَنْ سِوى عينيكَ يا بن مَلِيْكَةٍ تُفنى النُّفوسُ حرامُها وحلالُها
وجميلةٌ لُقياكَ غيرَ مُسالمٍ والخيلُ يعثرُ في القنا تَصْهالُها

هُوَ مِنْ دمٍ أو مِنْ دمٍ قَسْطالُها ... مَا عادَ يُجدي في العِدى إمهالُها

لِي أن أُلامَ وَإنْ تَكُنْ هي أجرمتْ ... لولا أناتُكَ لَمْ تَطِشْ أفعالُها

مَرَدَتْ على كِبْرٍ فذلَّ لها الورى ... حتّى غَدَتْ في الأرضِ جلّ جلالُها

وَوَفَتْ بعهدِ ضلالِها مَحْمودةً ... بَلْ عادَ هَدْياً في الأنامِ ضلالُها

والرُّزءُ ليسَ بأنْ تُعَدَّ مُغيَّباً ... فَلَقَدْ بدا للمُدْلِجِيْنَ هِلالُها

أمّا الحمى هُتِكَتْ معاذاتُ الحِمى ... والعِيْسُ بانَتْ حينَ ضاعَ عِقالُها

عُذراً أمَا اشتاقتْ يمينُك للقنا ... أمْ لَمْ تُمِلْكَ إلى البُنُودِ شِمالُها

أمْ لَمْ تَحِنَّ لغارةٍ مِنْكَ الحشا ... مِقدارَ لا يَنسى إباكَ مَصَالُها

أمْ بالمعاهِدِ باتَ أُنسُكَ حَيْثُ لَمْ ... تأنَسْ بِغيركَ باكياً أطلالُها

أمْ أبقت الأحداثُ مِنْكَ بقيّةً ... غَيْرَ المدامعِ يُتّقى إجفالُها

لا والّتي بالبابِ أُسقِطَ حَمْلُها ... وَهْيَ ابنةُ الهادي المُعظّمُ جالُها

وَبَكتْ لِفَقْدٍ مُحَمَّدٍ حتّى انثنت ... تبكي على غدواتِها آصالُها

وأبَتْ مُقامَ الهُونِ بَعدَ رحيلِهِ ... والأرضُ تُجفى إنْ عَلَتْ أنذالُها

فَقَضَتْ على وجْدٍ وأُخفيَ قبرُها ... ثُمَّ استُبيحَ بكُلِّ فجٍّ آلُها

ما بعدَ يومِ الطفِّ يومُ هوادةٍ ... وبُيوتُ فِهْرٍ قد علا ولوالُها

مِنها بناتُ الوحي لمّا أُبرِزَتْ ... والقُودُ بينَ خُدورهِنَّ صِيالُها

تَعدو حُفاةً في العرا نَسَجَتْ لها ... فضلَ المآزِرِ والقِناعِ نِبالُها

ونُهِبْنَ مِنْ بعدِ القلوبِ قلائداً ... لمّا أُعدّتْ للسِّبا أنكالُها

مُتلفِّتاتٍ بينَ خيلِ أميّةٍ ... وَمُبدّداتٍ في الصعيدِ جبالُها

حَسْرىً يُدافعنَ المهانةَ بالأسى جَلَداً، ويمنعُها النُّواحَ جَلالُها
فتياتُ خِدرٍ قَبْلُ لَمْ تطأ الثّرى إنْ لم يَحُكْهُ من السموِّ دَلالُها
واليومَ يُوطئنَ الترابَ ترائباً حرّى وفي أندائِهِ آمالُها
فهب انَها بالماءِ تُشفى من ظمى ومنَ التوجُّلِ بالأمانِ بَلالُها
الحُزْنُ كيفَ دواؤُهُ؟ وحُماتُها مُزِجَتْ بمنحطم الوشيج خِلالُها
وترى الحُسينَ وأيُّ مرأىً للهُدى فيهِ القنا والخيلُ لدَّ جِدالُها
فلئنْ تَمُتْ مِنْ حسرةٍ فَحَريّةٌ وأمامُها إنْ تَبْكِهِ وَزُلالُها
وتِراتُها يا بن الزكيّ مغبّةٌ شاخت، فهل يومُ المَعادِ فِصالُها
الّليلُ بعدَ البدرِ غُربةُ ثاكلٍ وإنْ النجومُ بهِ زَهَا إطلالُها
والحُبّ مُزْنَتُهُ الوِصالُ فإنْ خلا فعلى البسيطةِ كُلُّ حيٍّ آلُها

قد هدّ ركن الضحى فالليل مقتحم

(البسيط)

قد هُدّ ركن الضحى فالليل مقتحمُ ... وبالأسى سيقت الأيام والأممُ

والحادثات بركب النائبات معاً ... وكلما أفصحت عن حالها بُهِمُ

وكل عين ترى قد أبصرت عدماً ... وكلُّ سمع به قد حُكّم الصممُ

والناس ما إن ترى فالشكل إنسانٌ ... وهم بواقعهم الذئب والغنمُ

أحكامهم عن هوى أحلامهم نطقت ... ودينهم عن هوى دنياهم حكموا

وشهوةٌ كلّ ما بالأمر غايتهم ... وموتهم أفضل الأعمال لو علِموا

أرزاقهم قصُرت، خيراتهم نفَذت، ... أشكالهم حسُنت والقبحَ ما كتموا

أعرافهم نُكرت، أرحامهم قُطعت، ... ألبابهم فهمت والجهلَ ما فهموا

فما تعلّلُ قلبي وهو ذو كمد ... وما تعلّلُ دمعي وهو ينسجمُ

وما تواتر شعري غير في خلجٍ ... تحيي لواعجُهُ الأهوال والألمُ

قد يصبر المرء عن بلواه محتسباً ... والصخر يبكيه حزناً وهو يبتسمُ

وربما غرّد القمْري أغنيةً ... وقلبه بالأسى والشجو يكتدمُ

وربما ظاهرٌ للشعر متسق ... قد كان باطنه كالنار يضطرمُ

من منكم آخذاً شكوى أبثّ بها ... لصاحب الأمر قلباً شفّه السقمُ

ومقلةً قد علا إنسانها رمدٌ ... ومدمع قد جرى في ذابليه دمُ

ونفثةً من لهيب القلب أطلَقها ... حالٌ تساوى به الإيماء والكلمُ
يا أيّها الوتر فينا النائبات غدت ... شفعاً على عدة الأيام تقتسمُ
وضاق منا فسيحُ المشرقين وكم ... منا غدى صارم الطغيان ينتقمُ
والأرض قد فسدت حقاً بما كسبت ... أكف قوم على العصيان تعتزمُ
بلى، مددنا لك الأيدي فمد يداً ... فمن سواك لنا منجاً ومعتصمُ
وفرج الهم يا فرّاج كربتها ... بهمّة تُستقى من نبعها الهممُ
ولْتملأ الأرض عدلاً بعدما مُلئت ... ظلماً وجوراً وشتّتْ شمل من ظلموا
يا من لقبضته الأكوان طائعةٌ ... يُذري ويُبقي وما قد شاء يستلمُ
ومن له الدهر عبدٌ والزمان له ... مولىً وكلُّ الورى في أمره خدمُ
من معشر خير خلق الله جدهم ... وخير فاطمة في الناس أمهمُ
هم معشر من ضياء الله نورهم ... وخَلقهم قبل خلق الخلق كلهمُ
فالمرتضى لا فتى إلّاهُ والدهم ... والفخر يوم ارتقاء الفخر فخرهمُ
وأمهم فاطمٌ لا شك فاطمة ... عن الجحيم أناساً حبَّها لزموا
وكل شيء سواهم خاضع لهم ... وكل هذا البرى لولاهم عدمُ
هم معشر بالفدا تحيا حياتهم ... ودون نيل العوالي موتهم شَممُ
هم معشر ضيفهم رحم وضيفهم ... في يوم عيد الوغى الوحش والرخمُ
من كل متخذ للحرب أُهبتها ... بالقلب مدرع بالبأس ملتثمُ
يجري على وجهه ماء الحياء كما ... يجري على سيفه في الجحفلين دمُ
ما خالط الضيم أجفانٌ له أبداً ... كريم نفس ومن أخلاقه الكرمُ

ترى نواديهمُ بالجود باسمة كما مواضيهم في الحرب تبتسمُ
يا شبل هاشم للهيجاء بأسكمُ وللقنا والصفاح البيض كفكمُ
قد أُشهدت عنكم البطحاء معتركاً وعن جزيل الثنا تحكيكم الرجمُ
أنتم مطاعنها أنتم بواسلها أنتم أصايدها والطود والقممُ
أنتم ضراغمها أنتم بواسلها أنتم أصايدها بل سيلها العرمُ
قد ملّ سيفك غيضاً أنت كاظمه كما بصدرك قلبٌ ملّ يحتدمُ
لم تبق أسيافكم قِدْما عدوكم ولم يدعْ ذكركم ذكراً لغيركمُ
فمن لدُهْم الجياد السابقات إذا تغيب عنها ومن للهوج يقتحمُ
ومن لحدّ الظبى تبكي قواضبها ومن لسمر القنا بالبؤس تتسمُ
أسرج جواداً لجامُ الفتك صولتَه لتجعل الخيل فوق الخيل ترتكمُ
وأنجع السيف من أعناق باقية لآل حرب التي أجرت دمائكمُ
واطعن بحيث التقى منكم بوادرها وأنهض البأس حيث القوم قد جثموا
ولتلبس الدين ثوباً سرده علقٌ وكفه البطش والأشفار فيه فمُ
لا بأس قتل الرجال الصيد في وغلٍ فالليث شيمته الإقدام والشممُ
فما التصبّر هذا يا ابن حيدرة والقوم ما صبروا كلا ولا حلموا
وما اعتذارك يا عرنين هاشمها إذا سمعت بأرض الطف ما هشموا
يوم به قد بكى وجه السماء دماً وأنجب الدهر خطباً ليس ينصرمُ
قم في ثرى كربلا وانشد مآثرها عن بُلغة كلّ في تبليغها الكلمُ
ولوحة من مداد الدم يرسمها سيف على حده الأعناق ترتسمُ

ترى ليوثاً غداة الموت آنسهم حتفٌ فمن دونه الأجساد تنحطمُ
نيف وكل الهدى قد كان فعلهم ففردهم أمة وجمعهم أممُ
مشوا إلى مضجع رغد به اضطجعوا وخلفوا مدمع الأيام يلتطمُ
باتوا بظل القنا عطشى مواردهم فيه دماؤهم رياً لما قسموا
فيشهد الموت فيهم حينما قتلوا أن لم تمت منهم الأخلاق والذممُ
فانظر إلى قمر عند الفرات قضى وكم بكت بعده الأسحار والظلمُ
تُقطعْ يداه بحدّ المرهفات وكم قد بات في راحها البأس والكرمُ
وانظر إلى الرأس رأس الدين مرتفعاً إذ حق أن يرتفع في كفك العلمُ
وانظر إلى جسد أكفانه نُسجت من حافر الخيل عدواً فهي تلتحمُ
وانظر إلى خدر من من خدرها سلبت لجدها شتموا لركنها هدموا
أم لم ترى متنها فالزجر آلمها حتى إذا ما نبا في متنها ورمُ
أذاك صبر وملّ الصبر صابره والقوم قِدماً على الزهراء قد هجموا
يا صاحب الأمر هذا شجو شاجرة في القلب تنثر جمراً وهو ينتظمُ
نظم هَتكْتُ به ستر البيان بما يوم به تهتك الأستار والحرمُ
نظم بروح الدجى قهراً أكابده لأجعل النجم في ألفاظه كلمُ
فاقبل سجية مفؤود الفؤاد ففي سواك لم تنطق الآيات والحكمُ
صلى الإله عليكم كلما سجعت ورقاء أو خط في أفضالكم قلمُ

للحزن من ذهبٍ ثغرٌ قد ابتسما[1]

(البسيط)

للحزنِ من ذهبٍ ثغرٌ قد ابتسما ... أمْ الحياةُ أتتْ تُهدي لكَ النَّدما

أمْ عاودَ الطفَّ عاشوراءُ في رجبٍ ... وعادَ جيشُ ابنِ هندٍ فيهِ فانْهزَما

أم ذا ضريحُك يامَنْ أنتَ روعتُهُ ... والخلدُ هذا أمْ الموتُ الذي كَرُما

أمْ هذهِ مُنيةُ الكرّارِ حينَ طغَتْ ... أحالتْ الأرضَ في عينِ الأُباةِ سَما

أمْ شيبةُ الحمدِ هذي مِن مناقبِهِ ... وِتْرٌ بها اليومَ أنفُ الشِّركِ قد رُغِما

بل تلكَ عُقْبى الوفا والصدقِ تُنْبِئُ عنْ ... حجرِ العفيفةِ يا سُعدى اذا عَظُما

ولم يكُنْ من لُجينٍ ذا ولا ذهبٍ ... لكنّهُ من عروقِ المؤمنينَ دِما

قالوا جديدٌ فقلتُ المجدُ جِدْتهُ ... وقيلَ صِفْهُ فقلتُ الله حين رمى

وقيل هاتِ قصيداً فيهِ مفتتحاً ... فقلْتُ أنّى وقبلي الجودُ قد خَتَما

صَرحٌ لساقي العُطاشى قُلْ لصائغهِ: ... من أيِّ جنبٍ لزِمتَ البحرَ حين طَما؟

يكاد ينسابُ من لُطفٍ ومن كَرَمٍ ... ومن إباً كادَ لولا الحزمُ لانْحَطَما

ولا كداوودَ فيه سبّحتْ معهُ ... بيض الظبا والقنا لكن إذا ابتسما

فصلُ الغرامِ لو استنصحْتَ قلبَكَ بل ... فَصْلُ الخطابِ إذا في مُشكلٍ حَكَما

من خلف قُضبانِهِ حطَّ الزمانُ فَسَلْ ... وحسبُكِ اَللوحُ إنْ لم تُبصِر القَلَما

---

(١) ألقيت يوم افتتاح الشبّاك الجديد لضريح أبي الفضل العبّاس عليه السلام.

لا عُذْرَ من بعدِهِ للجاحدينَ فلمْ ... أجد صموتاً كهذا أزْعَجَ الصمَمَا
تُنْمى إليهِ نُجومُ الَّليل لا نَسَباً ... لكنَّها قبلُ كانتْ عندهُ خَدَما
كأنَّ آمالَ ذي القَرنينِ طُفْنَ بِهِ ... أو ابنَ يعقوبَ فيهِ أوَّلَ الحُلُما
لا بل سُليمانُ مُلكٌ ذا يُحاوِلُهُ ... شدّادُ لو خالَهُ لم يَبْتَدِعْ إِرَمَا
يَدٌ عراقيّةٌ شادَتْهُ مُخلصةً ... فلا رأتْ بعدَها فقراً ولا سَقَما
شادَتْهُ محمودةً إذ غادَرَتْ ثَلِجاً ... قلبَ المُحبِّ وأحشاءَ العِدا ضَرَما
وما الجديدُ عليها أنْ تُعظِّمَهُ ... فابنُ الفُراتِ قديماً ورّطَ الكُرَما
وإنَّ قَبْراً حوى العبَّاسَ أجدرُ أنْ ... تبني عليه الورى أحداقَها حَرَما
هو الحطيمُ بلى والمُستجارُ ومَنْ ... في النائباتِ أَتَتْهُ الناسُ مُلتَزَما
فلا غضاضةَ إن عاذَ الحُسينُ بِهِ ... فجدُّه كانَ للمُختارِ قَبلُ حِمى
ولا تسلْ بَعْدُ عن عينِ الحياةِ فقَدْ ... أحيا تعالى بِهِ الإسلامَ إِذْ عُدِما
عبّاسُ ليتَ الأُلى شادوا ضريحَكَ لَوْ ... شادوا لِأُمِّكَ قَبْراً في البقيعِ كَمَا
قبرٌ عَفَتْهُ السوافي لسْتَ تَعْرِفُهُ ... إنْ جُزْتَ إلّا بدمعٍ منك حيثُ همى
لَمْ تبْقَ منهُ ـ بدعوى الشركِ ـ باقيةٌ ... لكنَّهُ أوضحَ التوحيدَ مُذْ هُدِما
وإنْ يكُ المَيْتُ مَيْتاً لا انتفاعَ بِهِ ... والشِّركُ يا سَعدُ أنْ تَسْتَجْديَ الرِمَمَا
فمريمُ الجِذْعَ قَدْ هَزّتْهُ واهِمةً ... وقل لموسى العصا عُدَّتْ إذاً صَنَما!
أمَّا ضريحُكَ عندي يا بن حَيْدَرةٍ ... قميصُ يوسُفَ لو أنّي شَكوتُ عمى
وما رَأيْتُ عَجيباً مِنْ بِنا ذَهَبٍ ... أساسُهُ مِنْ دماءٍ في الثرى وَظما
قدْ ضمَّ ذا نَجْدَةٍ ناءَ الحِمامُ بِهِ ... بلى وَصَدرُ الهُدى حُزْناً له ازدَحَما

جَسْرُ الصِّيالَةِ خِيْلَتْ للوغى يدُهُ ... ناراً وقد أنِسَتْ في رأسِها عَلَما
مِنْ مَعْشَرِ الموتِ مَنْ لا يَركَبونَ لهُ ... إلّا رؤوسَهُمُ صِيْداً إذا عَزَما
يُبقي القَتيلَ شَباهُ الحَولَ مُفتكِراً ... أماتَ أم لم يمُتْ؟ واللهِ ما عَلِما
يُرِيْكَ أنّ أباهُ البَيْت مولدُهُ ... أو انّه مَنْ بحِجْرِ المُصطفى فُطِما
وما الجليلَةُ أنْ جَلَّتْ بسالتُهُ ... فمَحْتِداهُ ذُرى العَليا اللّذانِ هُما
بل الجليلةُ لم يشكُ الظما أبَدَاً ... والعَفُّ مَنْ فِيهِ ما تشكو وقَدْ كَتَما
مِنْ بَعْدِهِ شَمُتَتْ بالسِّبطِ حُسَّدُهُ ... حتّى رأى العَيْشَ وهْوَ المُلْتَجا بَرَما
وسُيِّرَتْ بَعْدَهُ مَنْ سُيِّرَتْ وكفى ... إنّ السرورَ بُعيدَ الطفِّ قد حَرُما
كفّاهُ والعينُ والهامُ التي فُضِخَتْ ... والتِّبْرُ مِن بَعْدِها ماذا وإنْ فَخُما
وما بُكائي عليهِ محضُ عاطفةٍ ... لكنّهُ من عُلا ذي العقلِ لو فَهِما
هي الطفوفُ بما ضمَّتْ وما حَمَلتْ ... رملٌ بنورِ جِباهِ الصالحينَ سَمَا
قَدْ أعْرَبَتْ كُلَّ فخْرٍ بعدما عُجِمَتْ ... فَلَمْ تَدَع عَرَباً في الفَخْرِ أو عَجَما
أرضٌ حَوَتْ ما حَوَتْ مِنْ كُلِّ ذي أنَفٍ ... بمدْحِهِ أنْفُ أُمِّ المجْدِ قد خُزِما
خُذها أبا الفضْلِ في مِيلادِ حيدرةٍ ... كتيبةً لا قَناً قلَّتْ ولا قَتَما
مُحَمَّرَةً من طِعانِ الدهرِ ما غُلِبتْ ... يوماً كأنْ لم تكنْ من جُرأةٍ عَدَما
فإنْ تَجِدْ خَلّةً فيها فمعذرةً ... البيتُ زينتُه الرُّكنُ الّذي وُصِما
تعنو لمرقدكَ السامي مُجَلْجِلَةً ... أهديكَ منها يداً في نصركم وفما
في يومِ تجْديدِهِ أرّخْتُهُ: «جَبَلٌ ... لا يأمنُ الحشرَ إلّا من بِهِ اعتَصَما»

لتعلم الناس بعد اليوم موقنةً[1]

(البسيط)

لِتَعْلم الناسُ بعْدَ اليومِ موقنةً ... بأنّ جانبها المأمونَ قَدْ هُدِما
وغابَ عَنْها هِلالُ الصدقِ بعدَ أبي ... قحطان والشكّ في آفاقِها نَجَما
وليُهْنِهِ النومَ في رِمْلِ الطُّفوفِ وذي ... عُقبى الّذي شادَهُ قَبْلَ الرّدى حَرَما
أمّا أنا فثُكالى الأرضِ كُلّهُمُ ... بواحدٍ عِشْتُهُ بَيْنَ الورى أُمما

(١) أُلقيت في تأبين الخطيب الحسينيّ السيّد جاسم الطويرجاوي (طاب ثراه).

ألا مُبلغاً عنّي الشريدَ مُعزّياً[1]

(الطويل)

ألا مُبْلِغاً عنّي الشّريدَ مُعزّياً ... بِخَطبٍ على آل الرسولِ حكيمِ

بأصْيَدَ مِنْ ساداتِ هاشمَ أبيضٍ ... مضى بوسومِ العِزِّ خَيْرَ كليمِ

فتىً عاشَ أحْزانَ الحُسينِ سجيّةً ... فماتَ بِقَلْبٍ مِنْ جواه سليمِ

ودَوْحَةُ مَجدٍ كانَ ظِلّاً، وجمرةً ... على الكائدينَ الدين غَيرَ رحيمِ

لَهُ من عليٍّ بن الحُسينِ شَباهَةٌ ... بأسْرٍ وقَتْلٍ في ذويهِ كَريمِ

قضى فتداعى الصالحونَ لِفَقْدِهِ ... وفاجأ أبياتَ الهُدى بعظيمِ

---

(١) تعزية بوفاة المرجع الراحل السيّد محمّد سعيد الحكيم (قدس سره).

مواطن لم تدع للقلب إيطانا

(البسيط)

مواطِنٌ لم تدعْ للقلبِ إيطانا ... وحادِثٌ لم يدعْ للعينِ أجفانا

وموقفٌ في إزاءِ الحيِّ قد قُبِضَتْ ... فيهِ النُّفوسُ فعِشنا فيه أبدانا

وخيرُ قولِكَ ما أبدَتْ مَطالِعُهُ ... على خواتيمِهِ رَمْزاً وعنوانا

أيسلَمُ الصَّبُ من قَتلٍ وقاتِلُهُ ... مَنْ خَلَّفَ الصَّخرَ يومَ البَيْنِ إنسانا

وهلْ له حيلةٌ في الحبِّ مَنْ تَرَكَتْ ... عليه أشواقهُ قيداً وسجانا

لولا الهوى لم أُبَحْ يوماً ببِنتِ جَوى ... طوعاً ولم أُبدِ للأحداثِ إذعانا

ولم أقُلْ لَهَفَ نَفسي للذين قَضَوْا ... في جانبِ النهرِ أشياخاً وشُبانا

أنا الذي انتَهَكَتْهُ في الهوى يَدُهُ ... وجاذبتهُ حديثَ السرِ إعلانا

وإنني لَلَّذي جدَّ الغرامُ بهِ ... فراحَ يُنشي رَقيقَ الوجدِ غَيرانا

لا دَرَّ دَرُّ الهوى كَم فرَّقَتْ يدُهُ ... إلفاً وكَم أَلَّفَتْ في الخلقِ شتانا

وكم دَهَت فاتِكَ الألبابِ فِتنَتُهُ ... حتى دَعا الخلقَ مَفتوناً وفتانا

وكم عَرى واقِفاً في الدارِ عن كثبٍ ... يَنْعى أحِبَّتَهُ والركبُ قد بانا

يُخفي الذي هو بادٍ مِنْ صَبابَتِهِ ... لو أخفَتِ النارُ بينَ القشِّ دخانا

وإنَّ فقدَ الذي تَهواهُ مُعضِلَةٌ ... تُبديكَ بينَ الوَرى في الذُّلِ سلطانا

يا رائدَ البرقِ لو يَمَّمْتَ ناظِرَتي ... سُقِيتَ رَجعَ فصيحِ الدمعِ هتانا

ولو بذي سَقَمٍ أوْقَفتَ عيسَكَ لم ... تَذكُرْ بذي سَلَمٍ يا سَعدُ جيرانا

ولو تصفحتَ أخبارَ الأُولى لَغَدى ... صحيحُ نقلِكَ تَهريجاً وهجرانا
شَراذِمٌ قد مَضى مَيْحانُ عازِفِهم ... باسمِ التُّقى ماجِنَ الأخلاقِ نشوانا
قاموا على قُحِّ غَيٍّ من نفوسِهمُ ... فخلَّفوا الناسَ عوراناً وعُرجانا
وأنْحَلوا أمرَهُم مَنْ لا يَقومُ بِهِ ... إلا إذا قامَ في المحرابِ سكرانا
قومٌ زنا اللاتُ بالعُزّى فأنْجَبَهُم ... أبو مَناةٍ لأهلِ الشِّرْكِ أَوْثانا
لا هم رِجالٌ ولا هم لو عَلِمْتَ نِسا ... شيءٌ مِنَ الخلقِ لا إنساً ولا جانا
هم أسَّسوا البَغيَ في الإسلامِ إذ غصبوا ... من فاطمٍ إرثَها إفكاً ونكرانا
لا خيرَ فيهِم سِوى أنَّ البَغيضَ لَهُم ... يُجزا على بُغضِهِم في الله إيقانا
كلاً دَعِياً تَجِدهُ غيرَ ذي نَسَبٍ ... ولا هو ذو حَسَبٍ بل كانَ حُسبانا
تؤتى المحارمُ عُرْفاً في بُيوتِهِمُ ... أَولى بمَعروفِكَ الأَهلونَ إحسانا
وقيل أتباعُهُم كثرٌ فَقُلتُ بَلى ... بيتُ الخَلا أكثرُ الأبياتِ إتيانا
وما الملوكُ بتيجانٍ وأردِيةٍ ... الثورُ أجودُ أثواباً وتيجانا
فأين هم وعليٌّ لا أباً لهمُ ... وأين هارونُ لو أعدَدتَ هامانا
وأين مَنْ حُبُّهُ فَرضُ الكتابِ غَدا ... مِمن غَدا حُبُّهُ كُفراً وطُغيانا
عليٌّ لا كعليٍّ في الوجودِ فتىً ... ولا كفقّارِهِ في الطعن طعانا
نفسُ النبيِ وزَوجُ الطُّهرِ فاطِمُ والـ ... ـمَنعوتُ في الذكرِ تَلويحاً وإمعانا
مَن لا يقاسُ بهِ نَفساً ومَنزِلَةً ... إلا النبيُ ولولاهُ لما كانا
فَلَوْ تلَوْتَ كِتابَ اللهِ قُلتَ عليْ ... ولو تَلَوْتَ علياً قُلتَ قُرآنا
المُرْتَضى اللهُ أوحاهُ وأحكَمَهُ ... فكان للحقِّ بينَ الخلقِ فُرقانا

فهل قَرنْتَ بهِ مَن لا يُقاسُ بِه سَبقاً وسابِقَةً أمناً وإيمانا
حُثالَةُ الخلقِ سُرّاقُ التُّراثِ ضُحىً قد يَصحَبُ المرْءُ في الأحيانِ ثُعبانا
نَسلُ الخَناءِ وداءُ الدّاءِ نَغْلُ بَغيٍّ زُرْقُ المنابِتِ إيناثاً وذُكرانا
ألقَوْا كذلِك أَلْقى السّامِرِيُّ لهم فأُشْرِبوا العِجلَ بعدَ العدلِ كُفرانا
لا آلُ فضلٍ ولا هم شِسعُ نعلِ حِجى البغلُ يَمضِي بِزَهوِ المُهرِ تيهانا
كلٌّ إذا مُدِحَ الكرارُ خِلتَ به يوماً عَبوساً صَهيكَ الوجهِ غيانا
ولو تقصَّيْتَ منهم في التُّقى رَجُلاً ألْفَيتَهُ في إهابِ الطينِ شيطانا
فلا تَشُط عَجباً لو قيل هم كفروا فدَيْدَنُ الكلبِ أنْ تَلقاهُ غرثانا
تسوَّروا ودَخَلْنا بابَ حِطَّتِهِ فمَيَّزَ البيتُ من وَفّا ومَن خانا
واستكبَروا ورَفضنا غيرَ حيدرةٍ وليشربِ البحرَ مَن بالكُفرِ سَمانا
ولِيُّنا الله من وَلّى أئِمتنا والحمدُ للهِ إذ فيهم تولانا
لحبهم قد خُلِقنا وَيْكَ من عَدَمٍ واللهُ طهرَنا بهم وزكانا
وإننا مَعشَرٌ إذا الغرامُ دَعا لم تَلْقَ في حَيِّنا إلا يتامانا
ثَكلى وأرمَلَةٌ تَنْعى ونائِحَةٌ وغايَةُ العِزِّ تَركُ العزِّ أحيانا
إذا بَكينا تَرى الأيامَ لاطمةً وإن غَضِبنا رأيْتَ الدهرَ أسنانا
في الموتِ تولَدُ أبنانا مُرمَّلَةً وللإباءِ تَؤُمُّ الموتَ قتلانا
متى ركبنا ليومِ الرَّوْعِ خِلتَ بنا والأرضَ من دونِنا إحدى سرايانا
على عَواتِقِنا تُحنى عواتِقُنا وبين راحاتِنا تسعى منايانا
سِرنا فَسارَتْ على أكتافِنا أُممٌ وكم مَضَتْ وهي كَلٌّ مِن رعايانا

وكم لنا يومُ فتحٍ لا نظيرَ لهُ ... أَماتَ حُسّادَنا غَيْظاً وأحيانا

أنْجِدْ وأتْهِم وأعْرِقْ حيثُ شِئْتَ وشم ... قاعَ السباعِ إذا يَمَّمْتَ لُبنانا

إذ كلُّ عينٍ لنا ألقت بناظِرِها ... وكلُّ عقلٍ بنا قد باتَ حَيرانا

تَجِد على الأرضِ قَتلانا فَتَحسَبُهُم ... بعدَ المَنِيَّةِ في الهيجاءِ فُرسانا

الليثُ يُرْهَبُ مَقتولاً فَكيفَ بِهِ ... إذا غَدا بادِيَ الأظفارِ يقظانا

كلُّ قضى لا يَرى في الموتِ مَنقَصَةً ... بل كان عَيْشُ الفَتى في الذُّلِّ نُقصانا

جُزْنا نِطاقَ العُلى حتى إذا أنِسَت ... لغَيرِنا لم تُطِق مَيْلاً وإتيانا

فلا يَظُنَنَّ أعدانا بنا خورٌ ... فَهِمَّةُ اللَّيثِ قد تُبديهِ عيانا

ولا تَغُرَّنَهُم فينا مَدامِعُنا ... السُّمُّ أدهى من اليَزني إطعانا

لي ألفُ عامٍ وألفُ الوجد كنتُ لها ... ديارُ سَلمى رَمَتْ بالبينِ حسانا

أُبدي لها وَلَهي ومَحْضَ ماءِ دَمي ... فتُبدي لي حُزنَها رسماً وجدرانا

وقد نَفضْتُ عن الدُّنيا وساكِنِها ... ثوبَ الذي غادرَ الأجداثَ دفانا

فما الأنامُ بها وَجَدْتُ غيرَ فتىً ... أجازَ في المُلكِ بعدَ اللهِ مروانا

لذاكَ قُلْتُ اِلتَزِم يا قَلبُ صَدرَكَ أو ... فاذهَب كذي النُونِ نَهبَ الغمِّ غضبانا

لعلَّ في اللَّومِ ما تُغنيكَ شدَّتُهُ ... عن أن تبيتَ عريضَ اللَّغدِ مبطانا

أو لا فكن كالذي أمسَت حَرائِرُهُ ... تُساقُ سَوْقَ الإما ظُلماً وعدوانا

فمن تَردى رِداءَ العِزِّ راقَ لهُ ... بأن يُرى فوقَ ظهرِ المجدِ عريانا

يا راكباً لا تَني في عُسرِ أُهبَتِهُ ... ولا على الصَّعبِ يومَ النَّدبِ قد لانا

يطوي على مَتنِ مِرْقالٍ مَناهِجُها ... ما ليسَ يَرجو به الجِنيُّ إيطانا

عَرِّجْ بوادي الحِمى حَيثُ النَّدى وأَرِحْ ... منه بأَكرَمِ خلقِ اللهِ جيرانا
الفاطميين مَن عن مثلهم عَقُمَتْ ... أمُّ العُلى أنْ تَلِدْ في الدَّهرِ إنسانا
والطالبيين من لو رُمتَ شيخَهُمُ ... أَلْفَيْتَهُ في كتابِ اللهِ عمرانا
قومٌ عبيدُهُمُ الأملاكُ قاطِبَةً ... والخلقُ إلا لهم رِقاً وأقيانا
عن فَضْلِهِم كلُّ فضلٍ في الوجودِ بَدا ... لُقمانُ لولاهُمُ ما كان لقمانا
لهم من الحقِّ ما للحقِّ عندهُمُ ... أطَعَتَهُم أو أطعتَ اللهَ سيانا
قرابةُ المصطفى ذو العرشِ قَرَّبَهُم ... حتى قَضَوْا في سبيلِ اللهِ قُربانا
لا مَيْتُهُم مَيِّتٌ يوماً إذا قُتِلوا ... ولا حَياتُهُمُ كمثلِ محيانا
قومٌ دُوَيْنَ إلهِ العرشِ مَرْتَبَةً ... وفوقَ ما دونهُ عِزاً وإمكانا
الحجةُ القائمُ المهديُّ آخِرُهُم ... عداً وأولُهُم في الثَّأرِ سُلطانا
الظاهرُ الباطنُ المَرهوبُ جانِبُهُ ... وصاحِبُ الأمرِ تسليماً وإذعانا
الأحمديُّ نَدىً والحيدَرِيُّ هُدىً ... والفاطِمِيُّ غَداةَ الوعدِ برهانا
عليُّ غارَتِها عبّاسُ غيرَتها ... زَكِيُّ غُرَّتِها جوداً وعرفانا
طاووس جنَّتِها مِقدامُ صَهوَتِها ... ياسينُ رَجعتِها مُلكاً وأخدانا
تلقاهُ في صحبهِ كالدرِ في ذهبٍ ... فلا تعي من لمن بالفضلِ قد دانا
مِن حَوْلِهِ هم أحاطوا وهو حاطَ بهم ... ما العينُ لولا الضِّيا شحماً وأجفانا
له السيوفُ غَداةَ الفتحِ مشهَرَةً ... تظُنُّها في أكفِّ الأسدِ عِسلانا
أو رُمتَهُم في مُتونِ الخيلِ خِلتهمُ ... كلاً على فلكٍ في الأوجِ كيوانا
شوسٌ غطارفةٌ صيدٌ خضارمةٌ ... أيان مَوْعِدُهُم يا قَلْبُ أيانا

أتُنْكِرُ العَيْنُ ما قلَّ الفُؤاد وهل ... تَجاهَل البدرُ أن الليل قد حانا؟
وهل يُطيقُ الفتى كَتْمَ الغرامِ إذا ... أمست له الجنُ والأملاكُ أعوانا؟
ومن دعا نفسهُ يومَ الهوى بَطلاً ... ترى على صدرهِ للخيلِ ميدانا!
يا من إذا شاءَ، شاءَ اللهُ عزَّ وجلْ ... كُنْ قالَ للشيءِ أو لا كُنتَهُ كانا
ومن علينا به مَنَّ الجليلُ ومَنْ ... أضحى لدينِ أبي الزهراءِ ديانا
ها قد أتيتُكَ لا أهذيك هَذْوَةَ مَن ... رآك في عقلِهِ شِعراً وأوزانا
ولست أُحيِيكَ ذِكرى ضاحِكٍ لَعِبَتْ ... به المَعازِفُ حتى بات جَذْلانا
ولا ارتأيتُكَ دُنياً كدَّ طالِبُها ... فسار طوعاً لما يَبغِي وعصيانا
بل جِئْتُكَ اليومَ قلباً فارغاً ونُهىً ... رأى سِواكَ الوَرى زوراً وبهتانا
يا بن الهدى والهدى أوطانهُ هُدِمَتْ ... وأنت تُعلي لبيتِ الصبرِ أركانا
كأنما ألِفَت عيناكَ مَنظَرَها ... مِن فَرطِ ما شاهَدَتْ هَدماً ونيرانا
إياك يُعنى بها فلا عُدِمْتَ إباً ... أو تَملأَ الأرضَ أسيافاً ومرانا
هذي أميَّةُ قد وافتكَ عادِيَةً ... تُدمِيكَ عَيناً وتُفري مِنك أبدانا
قد آنَست منك صَبْراً لَيْتَهُ جَزَعاً ... ولَيْتَ حِلْمَكَ في لَأْياهُ أرسانا
ورُبَّ لُؤمٍ بأهليه غَداةَ طَغى ... غدَوْا بهِ بعدَ ذُلِّ الجُبنِ شجعانا
جلَّ المُصابُ فقُم نبكي لهُ مهجاً ... قَرحى وأفئدَةً حَرّى وأذهانا
وأروعُ الحزنِ ما كانت بيارِقُهُ ... بَوارِقاً في الوَغى حُمراً وأكفانا
لا أنتَ أنتَ ولا هُم في الهَوان همُ ... إن لم يروْا في لِقاكَ الَموتَ إحسانا
سُقها فِداك أبي في عَزمِ كلِّ فتىً ... يُريكَ أقصاهُ يومَ البأسِ إبانا

فوارسٌ من بني عدنانَ لو حُشِمَت ... ألفيت كُلاً على المُهرِيِّ عدنانا
يلقاك واحدُهُم حتى تخالُ به ... رَضوى ويذبُل قد خفوا وثهلانا
حميةً وحمى، مروءةً وندى، ... حفيظةً وإبا ضيمٍ، ووجدانا
يذكرك ملقاهُم لو عُجْتَ فيه تَرى ... مِنَ الحسينِ بِأَرضِ الطفِ أظعانا
يا ابن النبي وخيرُ الذِّكرِ ما انحَدَرَت ... لهُ المدامِعُ أنهاراً وخلجانا
لِفتيَةٍ آمَنوا باللهِ فاعتَزَلوا ... لجانِبِ الطَّفِ لا للكهفِ رهبانا
قضوا وكلٌ كما تَهوى حَفِيظَتُهُ ... مُرَمَّلَ الخدِ دونَ الخيلِ ظمآنا
لو اطلَعتَ عَلَيهِم لامتلأتَ بِما ... قد أرهبوا الدَّهرَ إشفاقاً وتحنانا
قد أرسَلوا وَرِقاً لكن على عُجُفٍ ... أزكى ثرى حَسَكاً تَطوي وسَعْدانا
وما تبيَّنْتُ أنَّ القومَ قد قُتِلوا ... حتى رأيْتُ لهم في السبي نسوانا
ظعينةٌ قبلُ لو مَرَّ الظَّلامُ بها ... يكادُ من رَهبةٍ يخرُّ غشيانا
يَحُفُّها كلُّ من لو رامَ صارمَهُ ... لم يبقِ في الأرضِ للأمواتِ دفانا
واليومَ أمست بوادِ الطفِ حائرةً ... مذعورةَ القلبِ تُذري الدَّمعَ نيرانا
مخطوفةَ اللونِ إلا أنَّ جانِبَها ... يُبدي الدِّما من وَقِيعِ السوطِ ألوانا
أضحت يُعنِّفُها شمرٌ ويَزجُرُها ... زجرٌ ويَجذِبُ منها الذلُّ أردانا
فأيَّ صبرٍ وقبلَ الطَّفِ مُحْسِنُكُم ... قضى وفاطمُ في الأعتابِ جُثمانا
أرْجَبْتَ دَمعي وأَرْمَضْتَ النَّوى جَلَدي ... فهاك نَظْمِي على لُقياكَ شَعبانا
بقيةَ اللهِ خُذها عَنكَ باكِيَةً ... قد أدمَنَت في نَواكَ الحُزْنَ إدمانا
العمرُ يَمضِي وفيكَ الروحُ مُقبِلَةٌ ... كهلُ الهوى أكثرُ العُشاقِ رَيْعانا

ألا يا مُذلَّ البيد والمقلق الجنّا

(الطويل)

ألا يا مُذِلَّ البِيدِ والمقلِقَ الجِنَّا ... إذا ما على الوَجناء من نَجدةٍ أحنَا

أخو صَعدَةٍ لم تدرِ ما الذلُّ نفسُه ... وقبلَ يجيدُ السّلمَ قد أحسَن الطعنا

أبَرُّ من العذبِ الفرات قد اعتَزَى ... لحُرَّاةِ قومٍ كُنَّ في العِفَّة الْمُزنى

له سُمرةٌ أولَتْه جُودًا ورقَّةً ... وصَلْتُ جبينٍ عن جدود له كنَّى

إذا لمعا في المجد زنداه والضحى ... تسَاءلتِ العليَاءُ أيُّهمَا أسنَى

من التاركين العيش من بعد كربلا ... ومن بعد يوم الشام لم يألفِ السُّكنى

يَظُنُّ وُرودَ الماءِ وردَ جِنايَةٍ ... وأنَّ يَديْه في تنَاوُله أجنَى

أسيفًا على قتلى الطفوف نهارُه ... لأظلمُ من ليل اليتيم إذا جنَّا

تلوكُ الفَلا مَهرِيَّةٌ عَيْطَلٌ به ... دَرَتْه اليَمَانَ الوعر والماجدَ القَرنا

أمَضُّ بأحشاء السَّراب من الظَمَا ... يُرَدُّ بها حَتم القضاء وقد عنَّا

كأنْ رضعت مع ضَيغمٍ دَرَّ لبوة ... أوِ اتخذت أمَّ العقاب لها خِدنا

إذا جاوزت نجدًا وما نجدُ قصدُها ... بها أزَّقت من كلّ راقدةٍ جَفنا

أُفَدّي بأرواح اليهود رَسِيمَها ... وبالرُّوم أفْدِي من مَبَاركها العِطنَا

مُقَلَّدَةً عَيْنيَّ والقلب والنُّهَى ... لها قد أتاحَ الشوق من مُهجَتي رَسنا

ثَوَيَّتُها شَطُّ الدُّجَيْل فديتُه ... مُعَرَّفَ أبناء الخَصَاصة والركنى

ومأوى عُفَاة الأرض من كل مِلة ... به شَفتِ الهُلاك من دهرها الضّغنا
ثرىً بين سامُرَّا وبغداد كِدتُ من ... جَلالٍ وزَهوٍ فيه أحسَبُني ظنَّا
فيَا ذا أرِح بين النخيل إذا بدت ... بأيدي تَصابي الريح تحسَبها وَسنَا
مُذَهَّبَةَ الأَقرَاط مَبحُوحَة النّدَا ... ولم نَدرِ ثغرًا للنخيل ولا أُذنَا
بأفيائها للكَرْم والتين سَكرةٌ ... بها لو أطافَ البومُ من نَشوة غنَّا
تَعَطَّفْ بها عنّي وأَورِق فإنَّني ... تَمَنَّيتُ كَوني من خَمَائلها غُصنَا
وخُذ من جَنَاها لي فدَيْتك عُوذَةً ... أَرُدُّ بها عنّي الوَضَاعَة والجُبنَا
فإنَّ نَبَاتًا من دَمِ الأُسْدِ رِيُّهُ ... حَرِيٌّ لنيل الفَخر والله أن يُجنَى
جِنَانٌ بها عن عَقله اعتاضَ عاقلٌ ... فنَال الكَمَالَيْن الجَلالة والحُسنَى
ولم أرَ أرضًا قبلها الدَّهرُ والعِدَا ... أُهِيلا عليها ثمَّ ما بَرِحَت غَنَّا
فَفيها على عينيك قِف لستَ صاغِرًا ... فعِيدُ أبيك الخير إن جئتها قِنَّا
وفيها على عينيك قِف إنها العُلا ... التي عن سِواها في الغَرام لقد تُبنَا
وحَيّ بها سَبعَ الدُّجيْل تَحِيَّةً ... تُجيد بها عنّي التَّذَلُّلَ والحُزنَا
وقَبِّل سَنَا الجُدران حول مَقَامِه ... فَهَذه هي الأملاكُ في الأرض إن تبنا
وهذي التي القَعسَاءُ شادَ بناءها ... أبو طالبٍ مذ شادَتِ العَرَبُ الوُثنَى
وهذي المَهَنَّى من عَطَاء خَدِيجَةٍ ... جَفَونَا إليها البَّحرَ والعَارِضَ الهَتنَا
بَلِ الصُّبحُ هذي عِندها حَمِدَ السُّرَى ... مُجِدٌّ تَحَرَّى الأمنَ والأمنَ والأمنَا
أحِنُّ إليها ثمَّ لا شيء بَعد ذا ... نَأَتْ، وَهْيَ من حَبل الوَرِيد ليَ الأدنى
حَوَت جَدثاً الله ثمَّ جَمَالُه ... لقد تَخِذَ العُشاق وَجدي به لَحنَا

ولو أن أهلَ العلم تَعقِلُ حُسنَهُ لقَالت فقيهُ الحسن أرجَحُنا وَزنَا
ضَرِيحٌ نَزَاريُّ الملاحَة أوشَكَت لُجَينَاتُه تَحكي الصَّفَائح واللُّدنَا
يموجُ عليه من دَمِ الصُّبح عَسجَدٌ تخالُ نُجومَ الليل في لُجّه سُفنَا
قَتَلتُ به من هذه الروح يأسَهَا وطُلتُ به من كُلّ مَحمَدِةٍ فَنَّا
وجَافَيْتُ من جافيت فيه فَكُنت من غَنِيّ زُلالِ الماءِ في وَصلِه أغنَى
وما أنا مِمَّن قد تَكَلَّفَ في هوىً بَتَاتًا ولم أحذَر على جَفوَةٍ غُبنَا
وقد ذَلَّلَ النَّاسَ الغَرامُ وإنني أُعَظِّمُنِي لما غُرِمْت به شَأنَا
فَمَن بعد هذا التّيهِ يَخشَى مَهَانةً ومِن بعدَ هذا البأس من يَشتكي الوَهنَا
وقد عَمَّنِي بالفَضل قِدماً وإنما بما لم يَدَع قَلبًا عليَّ ولا ذِهنَا
به نُبرئ الأيامَ من كل عَاهَةٍ ولم نَدرِ ذا يُسرَى المسيح أمِ اليُمنَى
وفيه من التابوتِ حَطَّت سَكِينَةٌ لها نحن معْ طالوتِ للمُلكِ قد هُدنَا
علينا بأن نهواهُ في كل حَالةٍ وليسَ علينا أن نُخَلَّدَ أو نَفنَى
تَنَدَّى جُمانًا وهْوَ من دَمع أحمَدٍ فِداءً له بالمال والأهل قد جُدنَا
ضَريحٌ على الزهراء وِردٌ مَزَارُه كذاكَ فؤادُ الثاكلاتِ إذا حَنَّا
وقد هَمَّ عُبَّادُ اليهود بِهَدمِهِ وقد وَهِمُوا يوماً ونحن تَخَيَّلنَا
عَشِيَّةَ جاؤوهُ ذِئابًا فأصبَحوا تُحَدّثُ أمُّ النَّسر أيتَامَهُم عنَّا
ونُجعَةُ غَيري النَّبت والما ونجعتي صُدورُ أعاديهِ إذا امتلأت ضِغنَا
فيا صَاحِ إن بُلّغتَهُ ولك ابتَدَا على بابِه لوحُ البَدَاءِ الذي رُمنَا
فأضْرِع لهُ الخَّدين ثَمَّ وقُل لهُ وجَفنُك يدعو بالدموع هَلُمَّنَا

إذا كُنت لا ترضَى لي الذُّلَّ والهَونَا ... ولا أنتَ يا حاشاك عاجَلتَ بالحُسنَى
إلى مَن إذاً يا ابنَ النبيّينَ دُلَّنِي ... وغيرُكَ مثلي النَّاسُ كُلُّهُمُ مُضنَى
ولو ثَم لي وجهٌ لَبعتُك ماءهُ ... ولكنَّني للوَفد عِفتُهُما مَغنَى
ومثلك لا يُغريه في الجود سَائلٌ ... وليس يرى في بَذل مُهجَتِه مَنَّا
وأنت ضَمينُ الوَفدِ والمفزعُ الذي ... بحائك والميمين والدال قد عُذنَا
وقد دلَّني قلبي عليك فَطِعتُهُ ... وما زالَ قلبُ الحُر يا قلبَه فَطنَا
فإن تَكُ داءَ السَارقين ومَن لهُ ... وَحِيُّ القضَاءِ العَدلِ فيما تخاصَمنَا
فإنَّا سُرِقنَا لحمَنا وعظامَنا ... وفي عيد فِطر المسلمين لقد صُمنَا
وبين شُرَيحٍ أمرُنا وابنِ شَاهِكٍ ... وسِرْجَونُ أتقَى من يُطاع إذا أخنَا
وأموالُنا للمُطربين فَكُلَّما ... أجادَ مُغني البؤسِ من تَلَفٍ نُحنَا
كِتابُهُمُ القرآنُ والدّينُ مُسلِمٌ ... وطه رسولُ الله والملكُ يُوحَنَّا
ولو خُلِّيَت والبِيضُ يوماً أكُفُّنا ... لَمَا وقتيل الطَّفِ يوماً تَظَلَّمنَا
وغَيرِيَ مَن يرجُو لُمَاظَةَ غَيرِه ... مَعَاشاً، ولا أرضَى الجديدَيْن لي رِدنَا
وإنَّ كثيراً في الأنام مُحَمَّدٌ ... ولكنَّهُ لفظٌ وأنتَ له مَعنَى
ونَعشٍ لغير الموت قد شِيلَ كُنتَهُ ... عليه لغير الحزن أدمُعَنا كُنَّا
ذَكَرتُ وقوفَ العَسكَرِيَّين عِندَهُ ... غداةَ هُما طَودَا نزارٍ وقد أنَّا
يُثَنّيهِما حَتفٌ عليه وفُرقَةٌ ... وأفدَحُ مِن بِكرِ الطِّعانِ الذي ثَنَّا
كأنهُمَا مِن وَقْعِ بَينٍ عَرَاهُما ... مُعالِجُ سَهمٍ شَاكَ من جَنبه الطِّبنَا
ولا كالزكيّ الوجد فارقَ شَطرَهُ ... وإنهما رُوحٌ تَبَدَّت لنَا مَثنَى

تحَفَّى ثَكُولاً ثُم أجهَشَ حَاسِراً ... وشَقَّ عليه الجيْبَ فالحزن إن مُتنَا
وتلك على رُغمِ الفَجِيعَةِ مِدحَةٌ ... عليه بها جادَ الزكيُّ وقد أثنَى
وقد قيل لم يَرقَ الإمَامةَ مَنصِباً ... فقلتُ لَها قد كان أمنَعَها حِصنَا
وقد قيل لم يُقتَل كَعَادةِ هَاشِمٍ ... فقلتُ أتاهُ الطَّعنَ مُرتَدِياً حُزنَا
وإنَّ قَتيلَ الحزنَ أضيَعُ مُهجَةً ... على أنَّ قَاني دَمعِهِ من دَمٍ أقنَى
وقَائِلَةٍ ما بعدُ قُلتُ كَتِيبَةٌ ... نزورُ بها دارَ العَدوّ إذا اشْتَقنَا
يَمَانِيَّةٌ يَجلُو الهمومَ قَتَامُهَا ... وإلا فَلِلوَجدِ المِيت الذي اعتَدنَا
وإنَّا على العِلَّاتِ يا ابنَ مَلِيكَةٍ ... لَنَملؤُ قلبَ اللَّيثِ رُعبًا إذا صُلنَا
وقد هَابَنَا يومَ البُكَاءِ عَدُوُّنا ... فكيفَ إذا بالبِيضِ مُحمَرَّةً مِلنَا
وما نحن إلا النبع نبتٌ على الذُّرَى ... وإلا نَبَاتاً في صُدُورِ الذي غِضنَا
وخَيلٍ حَشَونَاهَا الأسِنَّةَ بعدما ... بَزَزنا مِنَ الآجَالِ في قَتلِها الإذنَا
على قِلَّةٍ فينا وهُنَّ مَقَانِبٌ ... تَكَدَّسنَ مِن هَنَّا علينا ومن هَنَّا
ضُرِبنَ إلينَا بالسّيَاطِ جَهَالَةً ... فما لَبِثَت والله أنْ قَرَعَت سِنَّا
وقد وَغِرَت قِدمًا عليها سُيُوفُنا ... فلمَّا تَعَارفنَا ضُرِبنَ بها عَنَّا
تَعَدَّى القُرَى والمس بنا الجيشَ لَمسَةً ... فداؤك أمّي ثُم إن شئتَ فاقتُلنَا
ولسنا بمغنىً عنك في الرَّوعِ إنما ... نُبَارِي إلى ما تشتهي يَدُكَ اليُمنَى
فقد بَرَدَت فوقَ اللُّقَانِ دماؤهم ... وطُورُك حَثَّ النَّارَ من جَانبِ الدهنا
وباليْتِ دعنا نُتبِعِ الحيَّ مَنهُمُ ... ونحنُ أناسٌ نُتبِعُ البَارِدَ السُّخنَا
فنحنُ الأُلى لا نأتلي لك نُصرَةً ... ولو رُمتَ قرن الثَّور سَحْلاً به جِئنَا

ولكنَّ عنك الخلق لم يُغنِ في الهُدَى ... وأنت الذي لو أنَّه وحدَه أغنَى
يقيك الرَّدى من يبتغي عندك العُلا ... ولا أبتغي في أن أقيك الرَّدَى عَدنَا
وإنْ قيل أدنى العيشِ حُبُّكَ فَليَكُن ... ومن قال لا أرضَى من العيشِ بالأدنَى
فلولاك لم تُجرِ الدّماءَ ولا اللُّهَى ... عِدَاك على رَجوى جَفَاءٍ لكم مِنَّا
ولولا حَلا عَينَيك لم يُعرَفِ الهَوى ... ولم يَكُ للدُّنيَا ولا أهلِها مَعنَى
وما الخَوفُ إلا ما تَخَوَّفَهُ الفَتى ... إذا هو لم يَقتَد لك الغَارَةَ الرَّعنَا
وإنَّ الفَتَى من قد رآك أمَانَهُ ... وما الأمْنُ إلا ما رآهُ الفتى أمنَا
فيا حبَّذَا الصُّبحُ الذي أنت فَجرُهُ ... وقد ألبَستهُ الخيلُ من قَسطَلٍ عِهنَا
مُنَايَ لئن أدركتُها تلك إنَّني ... نَظَمتُ لك الإنسَ القَوَافيَ والجِنَّا

الشمس سلطان الطبيعة

(مجزوء الكامل)

الشمس سلطانُ الطبيـ ـعةِ عن سناها لا غِنى
فهي التي تحدو الزما نَ بما وَهَى وتمكّنا
وهي التي تنشي دما ءَ البحر سُحباناً لنا
والجزلُ يُبدي النارَ ممّا من مآقيها جنى
والدهرُ لولا الشمس تَنْـ ـهَبهُ لخلّدهُ البِنا
والليلُ لولاها أضرّ بطولِهِ طولُ المُنى
والصبحُ لولا أن تغا درهُ لأهلكه العَنا
والبدر لولا هدوها ليلاً لما استرقَ السَّنا
فالكلُّ إن أمرتْ بهِ جبراً لإمرتها عنى
والكلُّ إن غضِبت كدى والكلُّ إن رَغِبت هنا
عن أمرها حتّى البها ئمَ لا يراودها الخنا
كلُّ الخلائقَ دونها رِمَمٌ على أيدي الفنى
أضحت وكلُّ وجودها لهوى عليٍّ مذعنا
أمر الأميرُ بها فعا دَت وهي ممّنْ آمنا
ومثالُها منه المثا لَ لمن وَعَى وتفطّنا

فالشمسُ قد خُلقتْ كما شاءَ الإلهُ وكوّنا
وعلى الهدى سارتْ بما سرَّ الحكيمُ وأعلنا
لمْ تعصِ قطُّ ربَّها بل لا تعي معنى الونى
ودليلُ قدرتِهِ بها بادٍ لما قد أتقنا
ما نصّبتها في السما شورى الأباعرِ في الدُنا
كلّا ولا اغتصبت من الـ أفلاكِ يوْماً موطنا
بلْ لمْ تُقارف فاحشاً في الأفْق يوْماً أو زنا
لم يُغنِ عنها من بهيـ ـبتها ارتدى وتلوّنا
أينَ ابنُ شيبةِ حمدها ممّنْ إلى اللات انحنى
بل من لهُ آيُ الكتا بِ على الورى يُبدي الثنا
ومن الّذي عن وجه أحـ ـمدَ كُلَّ كربٍ هوّنا
ومن الّذي أرقاه طـ ـه متنه وله انثنى
كلُّ البريَّةِ كافرٌ إنْ عُدَّ حيدرُ مؤمنا
لكنّه إيمان من باللهِ حقّاً أيقنا

ما جئتُ ممتدحاً من لستُ أرثيه

(البسيط)

ما جئتُ ممتدحاً من لستُ أرثيهِ ... إلّا تبادرَ قلبي من مآقيهِ

ولا عرجتُ بنظمٍ في هواهُ هوى ... إلّا سرى السمُّ في أحشاء شانيهِ

منْ قال لي دعْ هجاءَ القومِ قلت له ... مدحُ الوصيِّ هِجاءٌ في أعاديهِ

يا ويحَ نفسي إذا عاديتُ حيدرةً ... وويل أمّي إذا ما لم تواليه

بكت الديار على افتقاد بنيها[1]

(الكامل)

بَكَتِ الدِّيارُ على افتِقادِ بَنيها ... فأطِلْ وُقوفَ العيسِ يا حاديها

أَوَ ما سَمِعتَ بُكاءَها لِذَويها ... إن كان عِندَكَ عبرةٌ تُجريها

فانْزِل بأرضِ الطَّفِّ كي نَسقيها

فلَكَم ألِفتُ بها سَراةَ عَشيرةٍ ... بيضَ الخِصالِ وثَمَّ دارُ مُروءةٍ

رُحماكَ فاندُبها لِكُلِّ كريمةٍ ... فعسى نَبُلُّ بها مَضاجِعَ صَفوَةٍ

ما بُلَّتِ الأكبَادُ مِنْ جاريها

أنْزَلتُ قَلبي والدُّموعَ بدارةٍ ... لِرُسومِها في العَينِ تَوْأَمُ عَبرةٍ

أسعى بها وَجِلاً ولستُ بِصُحبةٍ ... ولقد مَرَرتُ على منازِلِ عِصمَةٍ

ثِقلُ النُّبُوَّةِ كان أُلقِيَ فيها

فحكيتُها وحَكَت حشايَ كأَنَّني ... مِنها بِقلبٍ يَستَقيمُ ويَنثَني

وكأنَّها منّي بِطَرفٍ لا يَني ... فبكيتُ حتى خِلتُها ستُجيبُني

بِبُكائِها حُزناً على أهليها

فَوَقَفْتُ فيها وَيْكَ وَقفةَ مُخبِرٍ ... عنها ورَسمُ الدّارِ ليسَ بِمُنكَرٍ

جَلَدي فلِنتُ إلى البُكاءِ بِمَحجَرٍ ... وذَكَرتُ إذ وَقَفَت عَقيلَةُ حَيدَرٍ

---

(١) تخميس لقصيدة السيّد رضا الموسوي الهندي ﷺ.

مَذهولةً تُصغي لصَوتِ أخيها

لَكأنَّها الزَّهراءُ ساعةَ هَضمِها ... وأبو تُرابٍ في دَناءةِ خَصمِها

عَجَباً لأنَّتِها وشِدَّتِ حَزمِها ... بأبي التي وَرِثَت مَصائبَ أُمِّها

فَغَدتْ تُقابلُها بصبرِ أبيها

لَهْفي لَها ولآلِها ولأسرِهِم ... لهفي لِجِيدرَ حاسِراً ولأُمِّهِمْ

يا أحمَدُ المُختارُ وهي ككُلِّهم ... لم تَلْهُ عن جَمْعِ العِيالِ وحِفظِهِمْ

بِفِراقِ إخوَتِها وفقدِ بَنيها

ما إن ذَكِرْتُ مُصابَها إلا جَرَتْ ... عَيني فدعْ لومي إذا ما قُرِّحَتْ

فَعَقيلَةُ الكَرّارِ وا أسفي بَدَت ... لم أنسَ إذ هَتَكوا حِماها فانثَنَتْ

تشكو لواعِجَها إلى حاميها

مِن قَبلُ كانَتْ والأُسودُ لها حِمى ... وَجِلاً يَمُرُّ بها السَّحابُ إذا هَمى

واليوم من فرطِ الظَّما تحكي الظَّما ... تَدْعُو فَتَحترِقُ القُلوبُ كأنَّما

يَرمي حَشاها جَمرَهُ مِن فيها

أَ أُخيَّ والرُّكبانُ فينا طوَّحَت ... وبِلُؤمِها بينَ المَصارِعِ قد مَشَتْ

فلَكُم بَكينا والنِّياقُ لنا بَكَتْ ... هذي نِساؤُكَ مَن يَكونُ إذا سَرَتْ

في الأسرِ سائِقُها ومَن حاديها

أرَضيتَ تُسبى يا ابنَ ثابِتِ دينِها ... وكَمِيَّ صَهوَتِها وعِزَّ جَبينِها

عُجْ بالفُراتِ وقُلْ لِلَيثِ عَرينِها ... أيَسوقُها زَجرٌ بِضَربِ مُتونِها

والشِّمرُ يَحدوها بِسَبِّ أبيها

أَحسينُ بَعْدَكَ لا تَقرُّ عُيونُها الصَّبرُ يُنجِدُها وفيكَ يخونُها
سارَت وما بَرِحَت عليكَ جُفونُها عَجباً لها بالأمسِ أنتَ تَصونُها

واليوم آلُ أُميَّةٍ تُبديها

قد بشَّروا هِنداً بِذاكَ وبارَكوا وعلى هَوانِي آلَ صَخرٍ أضحَكوا
وأجَلُّ من هذا بِقَتلِكَ أنهَكوا حَسرى وعزَّ عَليكَ أن لم يَترُكوا

لك من ثِيابِكَ ساتِراً يَكفيها

أَسَفي عليها أم عليكَ نَحيبُها وكِلاكُما صُمَّ الصُّخورِ يُذيبُها
تنعاكَ مُعوِلةً وأنتَ تَريبُها وسَرَوْا بِرأسِكَ بالقَنا وقُلوبُها

تَسمو إليه ووَجدُها يُضنيها

تَسمو له ومِثالُهُ كمِثالِها وظِلالُهُ لمّا سَما كظِلالِها
إنَّ الأكُف يَمينُها كَشِمالِها إنْ أخَّروهُ شَجاهُ رُؤْيَةُ حالِها

أو قدَّموهُ فحالُهُ يُشجيها